

موجز

علم السيرة النبوية



الحسني، نبيل قدوري، ١٩٦٥- م.

موجز علم السيرة النبوية / تأليف نبيل الحسني. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. = ٢٠٠٨م.

١٨٤ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٢٨).

المصادر في الحاشية.

١. محمد (ص)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ ق. - السيرة. ٢. محمد (ص)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ ق. - السيرة - الكتب الدراسية. ٣. العتبة الحسينية المقدسة. مدرسة الإمام الحسين(ع) للخطابة - الكتب الدراسية . ألف. العنوان.

BP ٢٢ / ٩ / ح ٥ م ٨

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

موجز

علم السيرة النبوية

إعداد

السيد نبيل الحسني

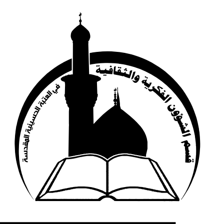
إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فإن مما لا شك فيه أن طالب العلم ممن خُص بالعناية الإلهية وشملته الفيوضات القدسية حتى ضمن الله له الرفعة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

وحيث أن الناس على ثلاثة أنواع حسبما صنّفهم باب مدينة علم النبوة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

«الناس ثلاثة؛ عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع».

لزم من طالب العلم أن يكون قصده في طلب العلم النجاة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«قلب ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب، فتعلموا، وعلموا، وتفقهوا، ولا تموتوا جهالاً، فإن الله لا يعذر على الجهل».

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

ومن لوازم طالب العلم هو الإحاطة بسيرة المعصوم عليه السلام لما يترتب على هذا العلم من عناوين شرعية، وعقائدية، وتربوية.

وحيث أن علم السيرة النبوية هو السنام الذي يتزود منه الخطيب في مادته البحثية ومشروعه التبليغي، فلذا ينبغي به دراسة هذا العلم والاهتمام به غاية الاهتمام لما يترتب عليه من إحياء لأمر آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وما يحققه من إصلاح للمجتمع وحفظه من الثقافات المنحرفة والأفكار والشبهات الهدامة التي عمل أئمة الضلال من خلالها على تحريف السيرة كي لا تؤدي في المجتمع غرضها الإصلاحي والتوعوي.

وعلى الرغم من تتبع كثير من الروايات التي تم انتقائها في إعداد هذا الكتاب إلا أنها تحتاج إلى مزيد من البيان والشرح لما حفت به السيرة النبوية من دسائس كثيرة.

ومن هنا:

كان الغرض في إعداد هذا الكتاب «موجز علم السيرة النبوية» هو الاحاطة بتلك العناوين الشرعية والعقائدية والتربوية، وكي يستعين به طالب العلم في تحصيل الخطابة على أن يكون بداية للبحث والكتابة والتخصص في علم السيرة النبوية.

والله تعالى ولي التوفيق.

السيد نبيل قدوري الحسني



الباب الأول

نشأة علم السيرة

مصطلح التاريخ

وردت لفظة تاريخ في كتب اللغة بمعنى الوقت.

ففي الجمهرة لابن دريد: ورّخت الكتاب وأرّخته، ومتى أرّخ كتابك وورّخ أي متى كتب[1].

وفي لسان العرب لابن منظور: التأريخ والتوريخ: تعريف الوقت، أرّخ الكتاب ليوم كذا: وقّته[2].

ويقال: أنّ اللفظة ليست عربية محضة وأنّ المسلمين أخذها من أهل الكتاب[3] وقيل أنّها عربية[4].

أقول[5]: بل هي أكدية وبابلية ووردت بصيغة (أراخ) (arah) (أرخا) (Arha) (أرخو) (Arhu) و(ورخو) (Warhu) وتعني (القمر) (الهلال) (الشهر) (أوّل الشهر)[6].

---

(١) ابن دريد: جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٢١٦.

(٢) ابن منظور: لسان العرب مادة ارخ، وقد ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (ان الهمزة والراء والخاء كلمة واحدة عربية هي الاراخ لبقر الوحش).

(٣) أيضا ذكر هذا المعنى ابن منظور في لسان العرب، والجواليقي في المعرب، باب التاء: ص١٣٧.

(٤) الجواليقي: المعرب، ابن دريد: جمهرة اللغة.

(٥) السيد البدري: دراسة مصادرة السيرة النبوية: المقدمة.

(٦) Assyrian dic part ١ vol ٢.

وفي السبئية (ورخ)[1] وكان العرب الجنوبيون إذا أرادوا التاريخ قالوا (ورخ كذا...) أي شهر كذا[2].

وفي العبرية (ياريحا) (ידמ) تعني (القمر) و(يرح) (הדג) تعني شهر، وفي السريانية كذلك[3].

ومن الجدير ذكره أنّ اللغة الأكدية أقدم من اللغة العبرية وهذه أقدم من اللغة السريانية، بل أنّ العلاقات التاريخية والخصائص المشتركة بينها تفرض القول أنّ السريانية متفرعة عن العبرية وهذه متفرعة عن الأكدية.

"استعملت كلمة تاريخ في العصر الإسلامي الأول بمعنى التقويم والتوقيت على أساس القمر، ثم كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية كلمة خبر وأخبار وأخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل، متصل الزمن، والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الإخبارية وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني الهجري فما أطلّ القرن الثالث حتّى صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخبار الرجال وعلى الكتب التي تحوي ذلك وحلت نهائيا محل كلمة الخبر والإخباري.

وأقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ هو كتاب التاريخ لعوانة بن الحكم الإخباري الكوفي (ت١٤٧هـ)، تناول فيه أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري.

---

(١) المعجم السبئي لفظة (wrh).

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ج ٨، ص ٤٤٦.

(٣) المعجم العبري والمعجم السرياني.

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)، كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير.

واستقرت من بعد ذلك التسمية وانتشرت واحتلّت عناوين العشرات من الكتب في القرن الثالث الهجري.

وقد حملت بعض كتب التراجم بدورها عنوان التاريخ في تلك الفترة مع أنّ بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات، ككتاب التاريخ الكبير والتاريخ الأوسط والتاريخ الصغير للبخاري (ت٢٥٦هـ)، وكلها في تراجم رجال الحديث"[1].

مصطلح التاريخ الإسلامي

يراد بـ(التاريخ الإسلامي) في ضوء كون الإسلام اسماً خاصّاً للدين الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): تاريخ النبي الخاتم وتاريخ المسلمين.

أمّا في ضوء كون الإسلام اسماً للدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً فيراد به: مضافاً إلى ما سبق تاريخ الأنبياء وأممهم.

مصطلح السيرة

تتكوّن حياة كل إنسان وسيرته من نوعين من الوقائع:

الأوّل: وقائع يتشكّل بها (تاريخ حياته) بدءاً بولادته وظروف نشأته وانتهاءً بوفاته وظروف موته، وطبيعة هذا النوع من الوقائع غير قابل للتكرار والإعادة.

الثاني: وقائع تتشكّل بها (طريقته في الحياة) ونهجه ومذهبه العملي فيها وتتألف من عاداته اليومية وسلوكاته المختلفة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وطبيعة هذا النوع من الوقائع متكرر ومعاد ومن هنا سمّي (عادة) و(طريقة).

والأنبياء كبشر، لا تشذ حياتهم وسيرتهم عن التقسيم الآنف الذكر.

---

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ج ١، ص ٥١ ـ ٥٢ بتصرف.

الوقائع التاريخية من السيرة النبوية

الوقائع التاريخية من السيرة النبوية: هي الوقائع التي يتشكّل بها تاريخ حياة النبي المباركة. من قبيل ولادة موسى وظروفها، ونشأته في قصر فرعون، ثم قتله للمصري، وهربه من مصر، ثم استقراره في مدين وزواجه هناك، ثمّ رجوعه إلى مصر، ووحي الله له في الطريق وتكليفه بالرسالة، إلى آخر الحوادث التي يتشكل بها تاريخ حياته (عليه السلام).

أو من قبيل ولادة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وظروفها، ثم نشأته في كنف جده عبد المطلب وعمه أبي طالب، ثم زواجه بخديجة، ثم اشتراكه بحلف الفضول ووضعه الحجر الأسود بيده في مكانه لما بنت قريش الكعبة، ثم تعبده في غار حراء، ثم نزول الوحي عليه وسماع علي (عليه السلام) حيث كان معه آنذاك رنة الشيطان، إلى آخر الحوادث التي يتشكّل بها تاريخ حياته الشريفة.

وهذا النوع من الوقائع والحوادث يسميه القرآن الكريم بـ(القصص) أو (الأنباء) أو(الأحاديث) ثم أطلق عليه من قبل المسلمين في القرن الأوّل والثاني الهجريين بـ(السيرة) وفيما بعد سميت بـ(الأخبار) ثم بـ(التاريخ).

(والسيرة النبوية) حين نجدها عنوانا لعشران أو مئات من الكتب ككتاب السيرة النبوية لابن إسحاق مثلا يراد بها أساساً (تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم) أي (قصص) حياته من الولادة حتّى الوفاة.

الوقائع السلوكية من السيرة

الوقائع السلوكية من السيرة: هي الوقائع والأفعال التي تتشكّل بها (طريقة) حياة النبي المباركة ونهجه العملي في الحياة. وتتألف من عاداته اليومية وسلوكاته المتنوعة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وتتحدد بالكتاب الإلهي الذي نزل عليه، وبيانه الذي أوحي إليه، وما شرّعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) استنادا إلى إذن الله تعالى له.

كتب السيرة والسنة النبوية

عنيت كتب السيرة النبوية وكتب التاريخ الإسلامي والتراجم بـ(تاريخ النبي وقصص حياته) ولكنّها مع ذلك لم تخل من أخبار عن طريقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحياة ولا من أحاديثه حيث أورد المؤلفون طرفا في ذلك مبثوثا ومفرّقا على الوقائع والمناسبات.

أمّا كتب السنّة النبوية فقد عنيت بأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله وتقريراته ومع ذلك فقد ضمّت قدراً من تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغزواته (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن لا على سبيل الاستقصاء. توجد ثلاث زوايا لدراسة السيرة النبوية المطهّرة وهي:

الأول: الزاوية التشريعية وحقلها الواقعة السلوكية.

الثاني: الزاوية العقائدية وحقلها الواقعة التاريخية.

الثالث: الزاوية التربوية وحقلها السيرة بكلا قسميها السلوكي والتاريخي.

وفيما يلي بيان مختصر عن كل زاوية:

الزاوية التشريعية

إنّ دراستنا للسيرة النبوية أو سيرة أهل بيته المعصومين (عليهم السلام) من هذه الزاوية تهدف إلى معرفة الحكم الشرعي من خلال الواقعة السلوكية سواء كانت هذه الواقعة فعلا مباشرا صدر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو كان إقرارا منه لسلوك أحد المسلمين صدر أمامه، وسواء كانت الواقعة السلوكية ضمن وقائع الحياة اليومية المتكررة للنبي كالصلاة مثلا، أو كانت ضمن واقعة تاريخية واحدة كقسمته (صلى الله عليه وآله وسلم) لغنائم الحرب في معركة بدر.

وتقوم هذه الزاوية من الدراسة على أساس العقيدة بعصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعصمة أهل بيته وكونهم قد جعلوا للناس أئمة يقتدى بهم أحياءً وأمواتا.

الزاوية العقائدية

إنّ دراستنا للسيرة بهذه الزاوية تهدف إلى معرفة ما تنطوي عليه حوادث التاريخ النبوي من دلالات عقائدية.

وتقوم هذه الزاوية من الدراسة على أساس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شخص صُنعَ على عين الله تعالى فجاءت حياته منذ ولادته، بل قبل ولادته حقلا تظهر فيه رعاية الله تعالى الخاصة بشكل ملحوظ، وتشتدّ هذه الظاهرة عند البعثة وحتى التحاق النبي بالرفيق الأعلى.

ومن هنا تكون قصص حياة النبي والوصي تجسيدا للعقيدة الإسلامية بالله وبالنبي والوصي، وبسبب ذلك سمّي القرآن الكريم هذه القصص والحوادث بـ(الآيات) ودعا الإنسان إلى التفكير فيها لأخذ العبرة منها وجعلها نظيراً للظواهر الكونية حيث سمّاها (آيات) أيضا ودعا الإنسان إلى التفكير فيها وأخذ العبرة منها أيضا.

قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣ ـ ٧.

والعبرة: هي نتيجة الاعتبار الذي هو الاستدلال على الشيء بالشيء، أو معرفة ما ليس مشاهد من خلال ما هو مشاهد، وأصل العبرة من (عبر النهر) أي تجاوزه من جانب إلى آخر سباحة أو بسفينة أو قنطرة[1].

والآية: اصطلاحا هي ما تتألّف منه السور من وحدات كلامية قد تطول وقد تقصر وهي تقابل البيت الذي تتألف منه القصيدة العربية.

أمّا في اللغة فالآية تعني: العلامة وهي التي يفضى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية[2].

إن (الآية التاريخية) كالمطر مثلا،آية من آيات الله لأنّها علامة تهدي إلى الله من يفكر بها تفكيرا صحيحا، وحين يهتدي الإنسان بالآية يكون قد عبر بها إلى الله تعالى، أي عرف ربوبية الله تعالى بواسطتها وهذا هو معنى أخذ العبرة منها، وتتسع الوقائع الكونية بحكم تنوّعها وترابطها لكل عقيدة التوحيد باعتبار إنّ هذه الوقائع آيات لله تعالى وعلامات على وجود الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وكذلك الأمر في (الواقعة التاريخية النبوية) كواقعة نزول القرآن على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو مجيء موسى بالآيات المفصلات إلى فرعون، أو واقعة الغدير، أو واقعة بدر، أو خروج موسى بقومه ولحاق فرعون وجنوده لهم وانفراق البحر لموسى وقومه وغرق فرعون وقومه، أو بيعة الرضوان في واقعة الحديبية، وغيرها من وقائع النبوة، هي أيضا آيات لله تعالى تهدي إلى الله وإلى أصفيائه وتعرّف بالمهتدين والضالين من عباده وبسنّته مع المكذّبين، ومعرفة ذلك كله والاستفادة منه هو المراد بأخذ العبرة منها.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، والراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن مادة عبر.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، والراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن مادة أي.

الوقائع السلوكية لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمجموعها آية

ومن هذا المنطلق يكون جانب القدوة من حياة الرسول وسيرته بمجموعه أعظم آيات الله عظمة وعبرة، ذلك لأن وصول إنسان إلى موقع القدوة والأسوة في مجتمع من المجتمعات أو جماعة من الجماعات ليس غريبا وخارجا عن سنّة الله في الإنسان والمجتمع، بل الغريب والملفت للنظر والخارق للقانون هو أن تكون هذه القدوة على نسق واحد وحالة واحد في كل مجالاتها، فلا يشذّ سلوك مها عن صفة القدوة مهما كان صغيرا وفي كل حقل من حقول الحياة الإنسانية.

فما لم يكن له تعالى وجود حقيقي فاعل وما لم يكن هناك انفتاح واقعي تعليمي وتربوي بين الله تعالى وعبده المرسل ورعاية خاصة له ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[1]، يستحيل أن يصل إنسان إلى هذا الموقع.

وفي ضوء ما مرّ نستنتج أنّ سيرة الأنبياء هي أعظم رافد يمدّ السائر إلى الله تعالى بالعظة والعبرة ولا يضاهيها رافد آخر بذلك[2].

الزاوية التربوية

إنّ دراستنا لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أهل بيته (عليهم السلام) من هذه الزاوية تهدف لمعرفة ما تنطوي عليه السيرة النبوية بقسميها من قدرة على التأثير في الإنسان المؤمن وتحريكه إلى الله تعالى وانضباطه بمنهجه.

ومما لا شك فيه، أنّ التربية عن طريق عرض الواقعة التاريخية والقدوة هو أفضل أسلوب في التربية وتجمع عليه المذاهب والفرق على اختلافها قديما وحديثا، وهو الأسلوب الذي اتبعه خالق الإنسان نفسه، وهو واضح من خلال

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.

(٢) وسيأتي في الأبحاث التالية أنّ سيرة أوصياء الرسول الإثني عشر تتصف بتلك الصفة أيضا، لأنّهم صنعوا على عين الله وكلّفوا بما كلّف به الأنبياء بواسطة النبي إلا أنهم ليسوا بأنبياء.

الكتب السماوية المعروفة وقد تميّز القرآن الكريم بهذا الصدد بما لا يضاهيه كتاب آخر، حين ضمّ بين دفتيه أنواع القصص.

أهداف السيرة النبوية في القرآن

عني القرآن الكريم بقصص أنبياء الله تعالى أساسا لأجل الهدف العقائدي والتربوي دون الهدف التشريعي، أمّا عنايته بوقائع سيرة خاتم الأنبياء فقد استهدفت الأهداف الثلاثة مع ملاحظة أنّ الثقل الأكبر في الجانب التشريعي تركه القرآن الكريم لسنّة النبي التي دعا للأخذ بها كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾.

أهمية علم السيرة النبوية وخطورة التحريف

عجز الإنسان أمام ظاهرة النبوة

ليس من شك أنّ الإنسان عاجزٌ عن خلق الظاهرة الكونية بغير أسبابها، فالمطر مثلا يتكوّن من بخار الماء المتكاثف الذي يشكّل الغيم وبانخفاض درجة الحرارة يتحوّل الغيم إلى قطرات المطر، فلو أراد الإنسان تحويل بخار الماء إلى قطرات الماء مرّة ثانية بغير تعريض بخار الماء إلى درجة حرارة منخفضة لما أمكنه ذلك.

وهكذا يعجز الإنسان عن تحريف الظاهرة الكونية عن سيرها الطبيعي كما لو أراد أن يغيّر من تعاقب الليل والنهار أو أراد أن يغيّر من حركة الشمس والقمر.

نعم، بإمكانه أن يشوّه بعض الظواهر الكونية أو يحسّن صفات البعض الآخر من خلال التحكّم بأسبابها، فبإمكانه أن يتسبب في أن يكون الجيل الثالث أو الرابع من جرثومة ما غير قادر على إنتاج الحالة المرضية التي ينتجها الجيل الأول مثلا وذلك من خلال التحكم بالأسباب الطبيعية التي تحيط بتلك الجرثومة.

وكذلك يستحيل أن تكون ظاهرة نبوية بغير أسبابها، ليس بيد الإنسان ومن ثمّ يدّعي إنسان ما النبوة كذبا ولكنّه سرعان ما ينكشف زيفه ويفتضح كذبه.

وكذلك ليس بإمكان الإنسان أيضا أن يحرّف الظاهرة النبوية الصادقة، بأن يجعل النبي المرسل وهو حي يعبد صنما أو يغيّر شيئا ممّا بيّنه الله في كتابه، بل كل نبي يمضي لما بعثه الله له ويحقق رسالته كما أخبره الله تعالى.

قدرة الإنسان على تحريف أخبار السيرة

نعم، بإمكان الإنسان أن يحرّف أخبار السيرة النبوية سواء كانت تاريخية أو سلوكية، لأن الواقعة التاريخية أو السلوكية بعد وقوعها تكون خبرا وقصة وحديثا يتناقله الرواة واحدا بعد الآخر، والإنسان بمقدوره أن يزيد وينقص من تفاصيل القصة والحديث وباستطاعته أيضا أن يختلق القصة بكل أحداثها أو السلوكات والطريقة بكل تفاصيلها.

وهكذا حين يكون الإنسان عاجزا عن دعوى النبوة دون أن يفتضح يكون من طرف آخر قادرا تماما على تشويه وتحريف أخبار النبي المبعوث حقيقة كقدوة أو كواقعة تاريخية بل يستطيع أن يختلق الواقعة أساسا وبذلك تكون الواقعة المروية سلوكا أو قصة غير الواقعة التي جاء بها النبي، وعلى هذا فبإمكان الرواة لو أرادوا وتعمدوا أن يرووا تاريخا لموسى (عليه السلام) مثلا لم يقع أصلا، وطريقة حياة أو سنّة له له يسلكها في حياته، كما بإمكانهم أن يرووا تاريخا مشوها وسنّة محرفة ويعطوها للناس على أنّها هي التاريخ الصحيح والسنّة الصحيحة.

إنّ إمكانية ذلك الأمر من الناحية النظرية أمر واضح لا غبار عليه، أمّا من الناحية الواقعية فهل تعرضت سيرة الأنبياء السابقين للتحريف؟ وإذا كان ذلك قد وقع فما هي حدوده؟ ومن القائم به؟ وماذا كان هدفه؟ ثم ما أثر هذا التحريف على مسيرة الإنسان إلى الله تعالى؟ هذا ما نحاول الإجابة عليه فيما يأتي:

هل حرّفت سيرة الأنبياء السابقين؟

يجيب القرآن على هذا السؤال بالإيجاب ويظهر ذلك واضحا عند مقارنة أوصاف الأنبياء وقصصهم التي وردت في القرآن مع نظائرها التي وردت في العهد القديم، وفيما يلي نماذج ثلاثة.

ما هو أثر التحريف على سَيْرِ الإنسان إلى الله تعالى؟.

تتغيّر العظة والعبرة عن وجهتها الصحيحة حين تحرّف الواقعة التاريخية من حياة النبي، فالتوراة حين نسبت صنع العجل إلى هارون، تكون قد سحبت الانطباع السيئ عن السامري وأتباعه وحوّلته إلى هارون وزير موسى وشريكه في الرسالة.

وهكذا حين تحرّف واقعة سلوكية من سيرته بأن ينسب للنبي شرب الخمر مثلا، تكون الطريقة النبوية قد تغيّرت تماما لصالح المنحرفين الذين لا يجدون بدّاً من شرب الخمر، ولكنهم يريدون أن يشربوها بغطاء مشروع من سيرة النبي نفسه.

إنّ تحريف سيرة النبي بقسميها التاريخي والسلوكي أخطر من قتل النبي وإيذائه حينما يكون على قيد الحياة، ذلك لأن قتل النبي بعد إكماله التبليغ لا يؤدي إلى بطلان حجّته بخلاف رواية الأخبار الكاذبة عن سيرته فإنّها تؤدّي إلى بطلانها، وذلك في حالة اختلاط الروايات الكاذبة الصحيحة وتعذّر فرز الصحيح من الكذب.

إنّ تحريف سيرة النبي التاريخية يؤدي إلى النظر إلى أعداء الرسالة على أنّهم أهلها وحملتها، وعلى أنّهم الامتداد الطبيعي للرسول وينظر إلى طريقتهم في الحياة على أنّها امتداد لطريقة الرسول، فيخضعون لهم كخضوعهم للرسول ويتّخذون منهم قدوةً كما اتّخذوا من الرسول قدوة، كما يؤدّي أيضا إلى صرف النظر عن أولياء الله الحقيقيين وحملة الرسالة حقا وإلى الجرأة عليهم وقتلهم حين يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنّ الإنسان في ظلّ الرواية الصحيحة لحياة النبي يجد نفسه أمام أعظم آيات الله عظة وعبرة، أمام طريقة حياة تفيض بالنبل والكرامة والعدل والتوحيد في كلّ مجالاتها وحقولها أمّا في ظل الرواية الموضوعة المحرّفة فيجد نفسه أمام إنسان مثله لا يختلف عنه في هفواته، بل قد يجد في سيرة النبي ما يترفّع عنه شخصيا، أو يجد في أصحاب ذلك النبي من هو أرجح منه موقفا وسلوكا، ومن الطبيعي جداً أن لا تحرّكه هذه السيرة المحرّفة، إذ لا فرق بينه وبين صاحبها إلاّ في ناحية نزول كتاب الله عليه، غير أنّه لم يؤثّر فيه الأثر البالغ، بخلاف السيرة الصحيحة حيث تعمل دائما على تحريكه نحو الله تعالى وبأعلى الدرجات.

تحريف أخبار سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

تعرّض تاريخ خاتم الأنبياء وسنّته من بعده للتحريف وهي حقيقة لا يشك فيها أحد ذلك لأنّنا لو رجعنا إلى المصادر المعتبرة لدى المسلمين حول تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنّته لوجدنا الروايات مختلفة ومتناقضة في وصف كثير من الوقائع التاريخية أو السلوكية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا التناقض والاختلاف واسع وكبير إلى درجة أنّنا نستطيع أن نكوّن من مجموع هذه الأخبار صورتين متناقضتين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء في جانب تاريخه أو في جانب طريقته في الحياة وسنّته.

الصورة الأولى

تظهره (صلى الله عليه وآله وسلم) أقلّ من مستوى الإنسان الاعتيادي في مختلف مجالات الحياة، فهو يلعن الآخرين من غير استحقاق، ولا يصبر عن النساء، الأمر الذي يفرض عليه أن يصطحب معه في كل غزوة واحدة من نسائه، ويوجد في صحابته من هو أشدّ حياءا منه ويبول واقفا، إلى غير ذلك من السلوكات المشينة، مضافا إلى ذلك تجعل منه شخصا مترددا في تلقّي الوحي، يشك في نفسه أنه قد جن أو أنّ

الشياطين قد عبثت به، وتجعل من زوجته ذات رأي أرجح منه في هذه القضية الخطيرة، فهي التي تطمئنه وتثبّته على النبوّة وتأخذه إلى ورقة بن نوفل النصراني ليزيد من قناعته بذلك، ثم يكون أوّل المؤمنين به أبو بكر ويسميه الصدّيق لشدة تصديقه لو ويؤمن بواسطة أبي بكر الصحابة المعروفون ويبقى النبي (صلى الله عليه وآله سلم) ثلاث سنوات يدعو سرّا، ويجتمع مع أصحابه في دار الأرقم حتّى يسلم عمر بن الخطاب فينصر الله به الإسلام ويعلن المسلمون عن أنفسهم، وهكذا تترى الحوادث ويبرز أبو بكر وعمر وعثمان بصفتهم الوجوه البارزة في حركة النبوة ومن هنا يكون من الطبيعي أن يأخذ هؤلاء موقعهم في خلافة النبي ونشر دينه من بعده.

الصورة الثانية

تظهره مثلا أعلى في كل ميادين الحياة في الخلق والحياء وحسن التعليم والمعاملة وعدم الانتقام لنفسه وغير ذلك من السلوكات العالية، مضافا إلى ذلك تجعل منه شخصا واثقا في أنّ الذي خاطبه أوّل مرّة في حراء هو ملك مرسل من الله تعالى، وأنّ عليا كان وزيره على أمر الرسالة بأمر الله ثم بدأ دعوته سرّاً بأهل بيته ثلاث سنوات ثم ختم ذلك بحادثه يوم الدار حيث أعلن فيها عن علي (عليه السلام) وصيّا وخليفة من بعده ثم صدع بأمر الله تعالى وتحمّلت أسرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (بنو هاشم) الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن المسلمين وحين أذن الله للمؤمنين أن يقاتلوا كان النبي يقذف بأهل بيته في لهوات الحروب ليدافعوا عن المسلمين ويتشخّص في مجمل تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته أهل بيته (عليهم السلام) بداءا بعليّ امتدادا رساليا له (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفيما يلي جدول تفصيلي مقارن لهاتين الصورتين.

روايات التاريخ والحديث

الروايات الإسلامية: هي (مسموعات) أو (مشاهدات) ينقلها الخلف من المسلمين عن السلف منهم جيلا بعد جيل إلى عصر الواقعة الإسلامية في عهد الرسول أو بعده.

وقد استقرّ أمر تدوين الروايات الإسلامية في القرن الخمسة الأولى من الهجرة، ومنذ ذلك الوقت أخذت أجيال المسلمين تنقل هذه المدوّنات، وقد تخصّص بعضها في السيرة والتاريخ والبعض الآخر في الحديث والفقه، والآخر في الأدب واللغة، إلى غير ذلك من فروع المعرفة الإسلامية أو ممّا يرتبط بواقع المسلمين.

إنّ أبرز علمين إسلاميين يعتمدان على الرواية بشكل أساسي هما علم التاريخ والسيرة وعلم الحديث.

كتب التاريخ والحديث

كتب التاريخ والحديث نوعان وحينما نطالع كتب التاريخ والحديث المتيسّر بين أيدينا اليوم نجدها على قسمين[1]:

الأول: يذكر سند روايته في كلّ ما يروي من خبر وحديث كالطبري في تاريخه وتفسيره والخطيب البغدادي في تاريخه، والبخاري في صحيحه وتاريخه والكليني في جامعه الكافي، وإبراهيم بن محمد الثقفي في كتابه الغارات وغيرهم.

الثاني: لا يذكر سند روايته فيما يرويه من أخبار وأحاديث وقد يذكر الراوي أو الكتاب الذي أخذ عنه، وقد لا يعنى ذلك أصلا، وممّن سلك هذا المسلك اليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وغيرهم.

---

(١) العلامة العسكري: خمسون ومائة صحابي مختلق: ج ٢، ص ٢٩، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: ج ١، ص٣٧٨.

وتنعدم القيمة العلمية لكتب التاريخ والحديث خصوصا الكتب المتأخرة التي اعتمد مؤلفوها منهج حذف السند نهائيا في قبال الكتب المتقدمة عليها زمانا التي اعتمد مؤلفوها منهج ذكر السند، ولكنّها تكتسب أحيانا بعض القيمة عندما يقترب المؤلف عن عصر الواقعة أو حين تفتقد الكتب الأخرى التي يذكر مؤلفها سنده إلى الواقعة أو عندما يكون للمؤلف اعتبار خاص في كتابه ذاك، كما هو الحال في تاريخ اليعقوبي الذي اكتفى بذكر اسماء بعض المصادر التي أخذ عنها في مقدمة كتابه، وعلى الرغم من إنّ تاريخه قام على أساس حذف السند إلى الواقعة التي يرويها خاصة فيما يرجع إلى عهد الجاهلية وسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جرى بعده إلاّ إنّ لرواياته قيمة خاصة في قبال تاريخ الطبري الذي التزم طريقة ذكر السند وذلك لأنّه ينبه أحيانا إلى معلومات أغفلها الطبري.

الكتب المسندة نوعان:

حين نلاحظ الكتب التاريخية أو الرجالية الموسوعية المعروفة كتاريخ الرسل والملوك للطبري (ت٣١٠هـ) وأنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ) أو الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) وغيرها، نجد أنّ مؤلفيها استمدوا رواياتهم ومعلوماتهم من كتب سابقة عليهم، فالطبري استمد أغلب رواياته عن السيرة النبوية من كتاب محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) واستمد أغلب روايات الفتوح وحروب الردّة والثورة على عثمان وحرب الجمل من كتابي سيف (توفي بعد سنة ١٧٠هـ) (الفتوح الكبير والردة) و(الجمل ومسير عائشة وعلي) واستمد أغلب روايات حرب صفين والنهروان والغارات من كتاب صفين لأبي مخنف (ت١٥٨هـ) وكتابه في أهل النهروان وكتابه في الغارات، والمستد أغلب روايات مقتل الحسين (عليه السلام) وأخبار حركة سليمان بن صرد والمختار من كتاب

أبي مخنف (مقتل الحسين عليه السلام) وكتابه (المختار بن أبي عبيد) وكتابه (سليمان بن صرد وعين الوردة).

وهكذا صنع ابن عبد البرّ في كتابه الاستيعاب حيث استمد معلوماته ورواياته من كتاب موسى بن عقبة (ت١٤٣هـ) في السيرة النبوية وكتاب ابن إسحاق في السيرة النبوية وكتاب طبقات الواقدي (ت٢٠٧هـ) وكتابه في التاريخ والمغازلي، وكتب خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ) الطبقات، والتاريخ، وغيرها من الكتب التي ذكرها في مقدمة كتابه[1].

وفي ضوء ذلك أمكننا تصنيف الكتب المسندة في السيرة والتاريخ والحديث إلى صفين:

الأول: الكتب الجامعة أو الموسوعية كتاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري وأخبار الزمان للمسعودي (ت٣٤٦هـ) وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرها.

الثاني: الكتب الأصول أمثال كتابَيْ سيف بن عمر وكتب أبي مخنف وكتب الواقدي وكتاب ابن إسحاق وموسى بن عقبة وكتاب وقعة صفين تأليف نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وكتاب الغارات تأليف محمد بن إبراهيم الثقفي (ت٢٨٣هـ) وغيرها.

وقد عني العلماء قديما بكتابة فهارس لهذه الأصول أشهرها وأقدمها كتاب (الفهرست في أخبار العلماء والمصنّفين من العلماء والمحدّثين وأسماء كتبهم) تأليف محمد بن إسحاق النديم (ت٣٨٠هـ) وهو فهرس عام يشمل المؤلفين المسلمين وغيرهم وهناك فهارس جمعت مؤلفي الكتب الأصول عند الشيعة مثل فهرس النجاشي (ت٤٥٠هـ) وفهرس الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ).

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب تحقيق علي البجاوي: ج ١، ص ٢٠ ـ ٢٤.

متى نشئ علم السيرة

أولى الاهتمامات التاريخية في القرن الأول الهجري كانت بالسيرة النبوية، بالتاريخ القريب للأمة الناشئة. كان المجتمع يتطلع إلى محاولة (إعادة امتلاك) تلك التجربة التاريخية الفريدة، تجربة النبوة والمجتمع المثالي الأول.

كان لابد من (صورة تاريخية) تدعم فكرة الأمة والمجتمع الناشئ، ثم إنّ الفتوحات والاتصال بالأمم الأخرى، كل ذلك أبرز مشاكل جديدة رجوا حلها باستعادة تجربة الوحي والإدارة والغزوات أيام الرسول، سيرة النبي، كتبت ضمن منظور تاريخي واسع يجعلها خاتمة تجارب الأمم التي عاشت أنبياء ونبوات أو كانت لها صلة من أي نوع بفكرة التوحيد.

هذا المنظور التاريخي العالمي استعد مصادره من القرآن ومعارف العرب التقليدية وما عرفوه من خلال معايشتهم لأهل الكتاب في الأقطار المفتوحة، ومن خلال عايشتهم للشعوب غير الكتابية، تلا الاهتمام بالسيرة وخلفيتها اهتمام مماثل بأخبار العرب في جاهليتهم فيما يسمّى بأيام العرب نتيجة الصراعات القبلية، هذا بالإضافة إلى (الصور التاريخية) التي بدأت تنشأ عن التاريخ السياسي للدولة الإسلامية خلال الصراع بين السلطة الحاكمة والأحزاب السياسية الدينية التي تصدّت للسلطة الأموية وقاومتها[1].

اهتمّ بالسيرة النبوية وبخلفيتها التاريخية أشخاص عديدون في القرنين الأول والثاني الهجريين، منهم وهب بن منبّه وأبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري وموسى بن عقبة وهشام بن عروة بن الزبير ومحمد بن إسحاق.

(١) عبد العزيز الدوري، علم التاريخ عند العرب: ص ١٧ ـ ٢٠.

ولقد وصلتنا قطع من كتاب وهب بن منبه (٣٤ـ١١٤هـ/٦٥٤ـ٧٣٢م) في المغازي[1]، كما وصلتنا أجزاء من كتابات محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ/٧٤١م) في السيرة في كتاب المصنّف لعبد الرزاق ابن همام الصنعاني (٢١١هـ/٨٢٦م)، ويعتبر كل من موسى بن عقبة (١٤١هـ/٧٥٨م) ومحمد بن إسحاق (٨٥ـ١٥١هـ/٧٠٥ـ٧٦٨م) أهمّ ممثلي المرحلة الثانية من مراحل كتابة السيرة، وأقدم من كتب في ظل العباسيين، وقد وصلت إلينا قطعة صغيرة من كتاب موسى بن عقبة في المغازي نشرت سنة ١٩٠٤م.

ومن دراسة هذه القطعة يتبين اهتمام موسى بالترتيب الزمني وبذكر تواريخ الحوادث، وباستعماله للأسانيد بدقة، ثم باعتماده شبه الكلي على شيخه الزهري[2].

محمد بن إسحاق شيخ كتاب السيرة

مهما تكن أهمية أعمال أمثال الزهري وموسى بن عقبة، فإن عمل ابن إسحاق يبقى الأساسي فيما يتصل بالسيرة وإلى حدّ ما بالتاريخ. وتكمن أهميه كمؤرّخ في استيعابه لتجارب شيوخه، وفي تطويرها وإعادة تنظيمها من خلال فهمه الجديد للتاريخ، ومن خلال نظرته الشاملة النابعة من ثقافته الواسعة وإدراكه للمغزي السياسي (للصورة التاريخية).

من هنا صار ابن إسحاق شيخ كتّاب السيرة، وصار من كتبوا بعده عيالا عليه.

---

(١) نشرها ج.ر. خوري بهايدلبرغ.

(٢) عن كتاب السيرة الأوائل، قارن مقالات هوروفتر في Islamic Culture I.II وقد ترجمها د. حسين نصار بعنوان (المغازي الأول مؤلفوها) ١٩٤٩. وقارن، عبد العزيز الدوري: علم التاريخ عند العرب ٢٠ ـ ٢٧.

العصر العباسي (حتى حوالي سنة ٤٣٠هـ)

تطورت حركة التأليف في (المغازي في القرن الأول الهجري تطورا سريعا حتى ألفت في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي مؤلفات جامعة، وأكبر مؤلف جامع في المغازي نعرفه من العصر الأموي هو كتاب (المغازي) لموسى بن عقبة، وقد اتجه مؤلفو كتب المغازي في وقت مبكر نسبيا ـ يصعب علينا الآن تحديد بدايته على نحو دقيق ـ إلى تناول موضوعات على نحو يشبه تاريخ العالم إلى جانب اهتمامهم بحياة الرسول وغزواته، فأدخلوا أيضا ذكر أخبار عن خلق العالم وعن الأنبياء السابقين. ومن المرجّح أن كتاب (المغازي) لابن إسحاق أهم مثال على ذلك. ويشير الخبر الذي وصل إلينا عند الخطيب البغدادي حول نشأة هذا الكتاب ـ رغم ما به من خطأ تاريخي ـ إلى هذه السمة من سمات كتب المغازي. ويقول الخبر بأن المنصور كلف ابن إسحاق بتأليف كتاب في التاريخ من آدم إلى عصر المنصور. وأن ابن إسحاق / أراد تنفيذ ذلك، ولكن الكتاب كان ضخما، فاضطر بناء على رغبة الخليفة إلى اختزاله[1].

محمد بن إسحاق

هو أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار، ولد حوالي سنة (٨٥هـ/٧٠٤م) بالمدينة المنورة. ثم رحل إلى الإسكندرية سنة (١١٥هـ/٧٣٣م). حيث حضر دروس يزيد بن أبي حبيب (المتوفى ١٢٨هـ/٧٤٥م) في علم الحديث، وعاد بعد سنوات إلى مسقط رأسه حيث التقى سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) بالمحدث سفيان بن

(١) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٢١، وأغلب الظن أن في مضمون الخبر سوا في الرواية فقد قيل إن المهدي هو الخليفة الذي أمر بهذا، وهذا غير ممكن من الناحية التاريخية، وقد نبه الخطيب البغدادي إلى هذا الخطأ صراحة، قارن في هذا ما كتبه يوهان فك في دراسته عن محمد بن إسحاق: J.Fuck M.B.Frankfurt.S.٣٣.N.٤٩.

عيينة. واضطر بعد ذلك إلى أن يهاجر إلى بغداد (انظر: هورفتس ١٧٣ - Horovitz,Isl.Cult ٢/١٩٢٨/١٧١) وأقام فترة قصيرة في الجزيرة وفي الكوفة وفي الري، ثم عاد سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) إلى بغداد. ويبدو أنه لم يكن على صلة بالأمويين، في حين كان أستاذه الزهري يطمئن إليهم، ولذا فلم يكن تحول الحكم إلى العباسيين السبب الأساسي لانتقاله إلى بغداد. وتوفي في بغداد سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) أو (١٥١هـ).

أهم مصادر علم السيرة

١ ـ سيرة ابن إسحاق.

٢ ـ شرح ابن هشام.

٣ ـ مغازي الواقدي.

٤ ـ طبقات ابن سعد.

٥ ـ شرح نهج البلاغة.

ومن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

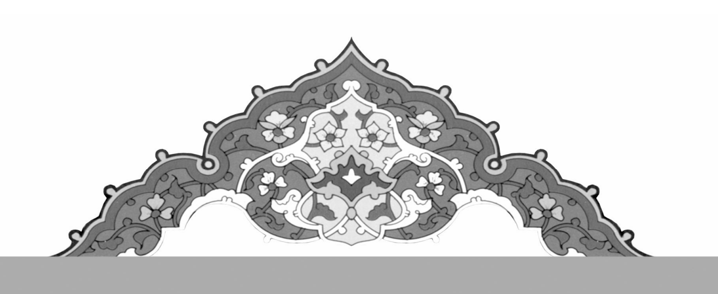
١ ـ سليم بن قيس الهلالي.

٢ ـ الإرشاد للمفيد.

٣ ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.

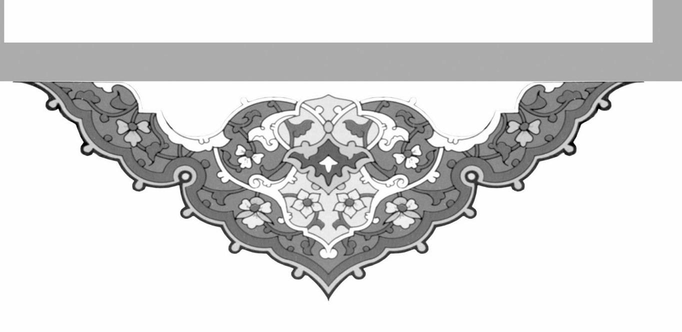
٤ ـ أعلام الورى للطبرسي.

٥ ـ المجلسي.



الباب الثاني

في ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومولده ومدة حياته ووقت وفاته



في ذكر مولده ونسبه إلى آدم عليه السلام ووقت وفاته ـ ولد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأوَّل عام الفيل، وفي رواية العامّة ولد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين، ثمَّ اختلفوا فمن قائل يقول لليلتين من شهر ربيع الأوَّل، ومن قائل يقول: لعشر ليال خلون منه، وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنو شيروان بن قباد وهو قاتل مزدك والزَّنادقة ومبيرهم[1] وهو الّذي عنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما يزعمون ولدت في زمان الملك العادل الصالح، ولثمان سنين وثمانية أشهر من ملك عمور بن هند ملك العرب، وكنيته أبو القاسم.

وروى أنس بن مالك قال: لّما ولد إبراهيم بن النبّي من مارية أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم ــ أو يا أب إبراهيم ــ، ونسبه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ـ واسمه شيبة الحمد ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

روي عنه عليه السلام أنّه قال: إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا.

وروي عن أُمّ سلمة زوج النبّي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: سمعت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: معد بن عدنان[2] بن أدد بن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى، قالت أمّ سلمة: زيد هميسع

(١) أباره أي أهلكه، والمبير: المهلك.

(٢) في كلام المؤرخين في ما بعد عدنان اختلاف شديد يكاد لا يوافق في أحدهم اثنان ولا يسعنا تصحيحه راجع مروج الذهب، تاريخ الطبري، روض الأنف، سيرة ابن هشام، ←

وثرا نبت وأعراق الثّرى إسماعيل بن إبراهيم، قالت: ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ لا يعلمهم إلاّ الله.

وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه رضوان الله عليه: عدنان بن أدّ بن أُدد بن يامين بن يقدد بن يقدم الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم، وقيل: الأصحّ الّذي اعتمد أكثر النسّاب وأصحاب التواريخ أنَّ عدنان هو أُدُّ بن أُدد بن اليسع بن الهميسع[1] بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بن تارح بن تاخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر[2] بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لمك بن متّوشلخ بن أخنوخ ويقال: أُخنوخ وهو إدريس عليه السلام بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام أبي البشر[3].

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ ابن غالب. وأرضعته حتّى شبَّ حليمةُ بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة السعديّة من بني سعد بن هوازن، وكانت ثوبية مولاة أبي لهب بن عبد المطّلب أرضعته أيضاً بلبن ابنها مسروح وذلك قبل أن تقدم حليمة، وتوفّيت ثوبية مسلمة سنة سبع من الهجرة ومات ابنها قبلها وكانت قد أرضعت ثوبية قبله حمزة بن عبد المطّلب عمّه فلذلك قال رسول الله ﷺ بأربع سنين، وأمّا سنين، وأمّا جدَّته أُمُّ أبيه عبد الله فهي فاطمة بنت عمر [و] بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأُمُّ عبد

← المعارف لابن قتيبة، روضة الألباب (مخطوط)، مناقب ابن شهر آشوب وغيرها. وقد روي عنه ﷺ إذا انتسب لا يتجاوز عدنان وقال: كذب النسابون.

(١) في بعض النسخ [الهيسع بن الهميسع].

(٢) في بعض النسخ [تاريخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغواء بن قانع بن عامر].

(٣) راجع مقدمة الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر.

المطّلب سلمى بنت عمرة من بني النجّار وأُمُّ هاشم عاتكة بنت مرَّة بن هلال من بني سليم، وأُمُّ قصي وزهرة فاطمة بنت سعد من أزد السّراة.

وصدع ﷺ بالرّسالة يوم السّابع والعشرين من رجب وله يومئذ أربعون سنة وقبض عليه السلام يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستّين سنة.

في ذكر أسمائه ﷺ وشرف أصله ونسبه

وأمّا أسماؤه وصفاته فمنها ما جاء به التنزيل وهو الرَّسول النبيُّ الأُميّ في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ والمزّمّل والمدَّثّر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ والنذير المبين في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ وأحمد في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ومحمّد في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ والمصطفى في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ والكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وسمّاه سبحانه نوراً في قوله: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ ونعمة في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ ورحمة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وعبداً في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ ورءوفاً رحيماً في قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وشاهداً ومبشّراً ونذيراً ونذيراً وداعياً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ وسمّاه منذراً في قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ وسمّاه عبد لله في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وسمّاه مذكّراً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ وسمّاه طه ويس.

ومنها ما جاء به الأخبار، ذكر محمّد بن إسماعيل البخاري في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ لي أسماء: أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر النّاس على قدمي، وأنا العاقب الّذي ليس بعده أحدُ وقيل: أنا الماحي الّذي يمحى به سيّئات لمن اتّبعه.

وفي خبر آخر المقفّي ونبيُّ التوبة ونبيُّ الملحمة والخاتم والغيث والمتوكّل[1].

وأسماؤه في كتب السّالفة كثيرة منها: مؤذ مؤذ بالعبرانيّة في التّوراة وفاروق في الزّبور.

وروى الشّيخ أبو بكر أحمد البيهقي في كتاب دلائل النبوَّة بإسناده عن الأعمش عن عباية بن ربعي، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجل قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرها قسماً وذلك قوله في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير من أصحاب اليمين، ثمَّ جعل القسمين ثلاثاً، فجعلني في خيرها قسماً وذلك قوله في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير من أصحاب اليمين، ثمَّ جعل القسمين ثلاثاً، فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ـ إلى قوله ـ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فأنا من السّابقين وأنا خير السّابقين، ثمَّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ـ الآية ـ﴾ فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثمَّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذّنوب.

---

(١) المقفي هو بمعنى العاقب لأنه تبع للأنبياء يقال: فلان يقفو أثر فلان أي يتبعه. والملحمة: الحرب وسمي صلوات الله عليه بذلك لأنه بعث بالذبح كما قاله صاحب المناقب وروى أنه ﷺ سجد يوماً فأتى بعض الكفار بسلا ناقة فألقاه على ظهره فقال: يا معشر قريش أي جوار هذا والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح، فقام إليه أبو جهل ولاذ به من بينهم وقال: يا محمد ما كنت جهولاً. وسمي نبي الملحمة بذلك.

وروى الحاكم بن عبد الله بإسناده، عن سفيان بن عيينة أنّه قال: أحسن بيت قالته العرب قول أبي طالب للنّبي ﷺ:

وشقَّ له من أسمه كي يجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

وقال غيره: إنَّ هذا البيت لحسّان بن ثابت في قطعة له أوَّ لها:

ألم تـر أنَّ الله أرسـل عبـده ببرهانـه والله أعلـى وأمجـد

ومن صفاته الّتي جاءت في الحديث: راكب الجمل، وآكل الذّراع، ومحرّم الميتة، وقابل الهديّة، وخاتم النبوَّة، وحامل الهراوة[١] ورسول الرَّحمة. ويقال: إنَّ كنيته في التوراة أبو الأرامل، واسمه صاحب الهراوة.

وروى أنّه قال: أنا قثم. والقثم[٢] الكامل الجامع، وقال: أنا الأوَّل والآخر أوَّل في النبوَّة وآخر في البعثة.

في ذكر مدة حياته ﷺ

عاش ﷺ ثلاثاً وستّين سنة، منها مع أبيه سنتين وأربعة أشهر[٣] ومع جدّه عبد المطّلب ثماني سنين، ثمَّ كفله عمّه أبو طالب عليه السلام بعد وفاة جدّه عبد المطّلب فكان يكرمه ويحميه وينصره أيّام حياته.

وذكر محمّد بن إسحاق بن يسار أنَّ أباه عبد الله مات وأُمّه حبلى وقيل أيضاً: إنّه مات والنّبي ﷺ ابن سبعة أشهر.

وذكر ابن إسحاق قال: قدمت آمنة بنت وهب أُمُّ رسول الله ﷺ به على

(١) الهراوة هي العصا الضخمة وجمعها هراوي ـ يفتح الواو كمطايا ـ.

(٢) القثم ـ بضم القاف وفتح الثاء المثلثة ـ: الجموع للخير وأيضاً المعطاء، (معدول عن القاثم).

(٣) هذا هو قول بعض المؤرخين من العامة كما نقله محمد بن مسعود الكازروني في لا منتقى ولكن الأصح لما حملت آمنة برسول الله ﷺ توفي عبد الله بالمدينة في دار النابغة وله خمس وعشرون سنة كما هو رأي عامة أرباب السير، وأشار إليه المؤلف ـ رحمه الله ـ.

أخواله من بني عديّ بن النجّار بالمدينة ثمَّ رجعت به حتّى إذا كانت بالأبواء فهلكت بها ورسول الله ﷺ ابن ستّ سنين.

وروى عن بريدة قال: انتهى النبيُّ ﷺ إلى رسم قبر فجلس وجلس النّاس حوله فجعل يحرّك رأسه كالمخاطب ثمّ بكى.

فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربّي في أن أزور قبرها فأذن لي فأدركتني رقّتها فبكيت، فما رأيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة. وفي خبر آخر استأذنت في زيارة قبر أُمّي فأذن لي فزوروا القبور تذكّركم الموت ـ رواه مسلم في الصحيح ـ.

وتزوَّج بخديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة. وتوفّي عمّه أبو طالب وهو ابن ستّ وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرين يوماً. وتوفّيت خديجة بعده بثلاثة أيّام، وسمّى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن.

وروى هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعة عنّي حتّى مات أبو طالب عليه السلام[1].

وأقام ﷺ بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر منها إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام وقيل: ستّة أيّام، ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأوَّل وبقي بها عشر سنين، ثم قبض ﷺ يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة.

واختلف أهل بيته وأصحابه في موضع دفنه فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الله تعالى لم يقبض روح نبيّه إلاّ في أطهر بقاع فينبغي أن يدفن هناك. وأخذوا بقوله فدفنوه في حجرته الّتي مات فيها.

---

(١) الكاعة جمع كائع وهو الجبان ـ كبائع وباعة ـ وقد كاع يكيع عنه: جبن عنه وهابه، والمراد أنهم يخافون ويجبنون عن إيذاء النبي ﷺ ما دام أبو طالب حياً فلما مات ـ رضي الله عنه ـ اجترأوا عليه.



الباب الثالث

في ذكر آياتـه الباهرات ومعجزاتـه القاهرة للعادات

وهذه الآيات قسمان أحدهما ما ظهر قبل مبعثه والآخر ما ظهر بعد ذلك، فأمّا ما ظهر قبل الدَّعوة والمبعث فمن ذلك ما ستفاض في الحديث أنَّ أُمَّ أنبئت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنّك حملت بسيد هذه الأمّة فإذا وقع على الأرض فقولي: أُعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد فإنَّ آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام فإذا ولد فسمّيه محمّداً، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماوات والأرض، واسمه في الإنجيل حميد، يحمده أهل السماء والأرض، واسمه في الفرقان محمّد. قالت: فسمّيته بذلك.

وروى أمامة قال: قيل: يا رسول الله ما كان بك [من] أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أُمّي أنّه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام.

فصل

وأما المعجزات الباهرة الدالة على نبوته التي هي سوى القرآن فكثيرة أُثبتنا متونها وحذفنا أسانيدها لاشتهارها بين الخاص والعام وتلقي الأمة بالقبول التام.

فمنها مجيء الشّجرة إليه ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة قال: لقد كنت معه ﷺ لّما أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمّد إنّك قد ادَّعيت عظيماً لم يدَّعه آباؤك ولا أحدٌ من بيتك ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيٌّ ورسولٌ، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحرٌ كذّاب، فقال لهم: وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك،

فقال ﷺ: إنَّ الله على كلّ شيء قدير فإن فعل ذلك بكم تؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم قال: فإنّي سأريكم ما تطلبون وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، وإنَّ فيكم من يطرح في القليب ومن يحزّب الأحزاب، ثمَّ قال: أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله، والّذي بعثه بالحقّ لا نقلعت بعروقها وجاءت ولها دويٌّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطّير[1] حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفوقة[2] وألقت بغصنها الأعلى على رأس رسول الله وببعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه ﷺ فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّاً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً فكادت تلتف برسول الله فقالوا كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه فأمرَه ﷺ فرجع فقلت أنا: لا إله إلاّ الله فإنّي أوَّل مؤمن بك يا رسول الله وأوَّل من أقرَّ بأنَّ الشّجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم: بل ساحرٌ كذّاب، عجيب السّحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك غير هذا؟ ـ يعنونني ـ.

ومنها خروج الماء بين أصابعه وذلك أنّهم كانوا معه في سفر فشكوا أن لا ماء معهم وأنّهم بمعرض التّلف وسبيل العطب[3] فقال: كلاّ إنَّ معي ربّي عليه توكّلت ثمَّ دعا بركوة فصبّ فيها ماء ما كان ليروي ضعيفاً وجعل يده فيها فنبع الماء من بين أصابعه فصيح في النّاس فشربوا وسقوا حتّى نهلوا وعلّوا وهم أُلوف وهو يقول أشهد أنّي رسول الله حقّاً.

---

(١) الدوي: صوت ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه. وقصف الرعد وغيره قصفاً: اشتد صوته.

(٢) رفوف الطائر بجناحيه إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه.

(٣) العطب هو الهلاك.

ومنها حنين الجذع الّذي كان يخطب عنده صلوات الله عليه وذلك أنّه كان في مسجده بالمدينة فيستند إلى جذع فيخطب النّاس فلمّا كثر الناس اتّخذوا له منبراً، فلمّا صعده حنّ الجذع حنين النّاقة حين فقدت ولدها فنزل رسول الله ﷺ فضمّه إليه فكان يئنُّ أنين الصّبيّ الذي يسكَّت.

ومنها حديث شاة أُمّ معبد وذلك أنَّ النبي ﷺ لّما هاجر من مكّة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أُريقط اللّيثي فمرُّوا على أُمّ معبد الخزاعيّة وكانت امرأة برزة تحتبي[1] وتجلس بفناء الخيمة فسألوا تمراً ولحماً ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وإذا القوم مرملون فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القوى فنظر رسول الله ﷺ في كسر خيمتها[2] فقال: ما هذه الشّاة يا أُمّ معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها، قالت: نعم بأبي أنت وأُمّي إن رأيت بها حلباً فاحلبها[3] فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها[4] وذكر اسم الله وقال: اللّهمَّ بارك في شاتها، فتفاجت[5] ودرَّت فدعا رسول الله بإناء لها يريض الرَّهط[6] فحلب فيه ثجّاً حتّى علته الثّمال[7] فسقاها فشربت حتّى رويت، ثم سقى أصحابه فشربوا حتّى رووا فشرب عليه السلام آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً فشربوا جميعاً علاً بعد نهل حتّى أراضوا ثم

---

(١) الاحتباء: الاشتمال بالثوب. أي جمع بين ظهره وساقيه بالثوب أو نحوه.

(٢) قال الجوزي: في حديث أم معبد «فنظر إلى شاة في كسر الخيمة» أي جانبها.

(٣) الحلب ـ بالتحريك: اللبن المحلوب ومصدر حلب الناقة يحلبها حلباً.

(٤) الضرع للشاة كالثدي للمرأة.

(٥) تفاجت أي فتحت ما بين رجليها ووسعته. ودرت لبنها أي كثرت.

(٦) قال الجزري: في حديث أم معبد «فدعا بإناء يريض الرهط» أي يرويهم بعض الري.

(٧) ثجاً أي لبناً سائلاً. والثمال: جمع ثمالة وهي الرغوة. وقال الجزري هو ـ بالضم ـ: الرغوة.

حلب[1] فيه ثانياً عوداً على بدء فغادوا عندها ثمَّ ارتحلوا منها فقلّما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق عنزاً عجافاً هزلى[2] مخهنَّ قليل، فلمّا رأى اللّبن قال: من أين لكم هذا والشّاة عازب[3]، ولا حلوبة في البيت، قالت: لا والله إلاّ مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت الخبر وبطوله[4].

ومنها خبر سراقة بن جعشم[5] الّذي اشتهر في العرب يتقاولون فيه الأشعار ويتعاوضونه في الدّيار أنّه تبعه وهو متوجّه إلى المدينة طالباً لغرّته ليحظى بذلك عند قريش حتّى إذا أمكنته الفرصة في نفسه وأيقن أن قد ظفر ببغيته ساخت قوائم فرسه[6] حتّى تغيّبت بأجمعها في الأرض وهو بموضع جدب وقاع صفصف[7]

(١) أراضوا من أراض الحوض إذا استنقع فيه الماء أ] نقعوا بالري مرة بعد أُخرى.

(٢) العجف ـ بالتحريك ـ: الهزال والأعجف: الهزول وقد عجف والأنثى عجفاء والجمع عجاف. وفي النهاية «مخاخهن قليل» والمخاخ جمع المخ.

(٣) العازب: البعيد. والحلوب: التي تحلب وقد استغربه اللغويون لزعمهم أن فعول بمعنى مفعولة نظراً إلى الظاهر والحقيقة أنه بمعنى فاعلة.

(٤) راجع مفصل هذا الحديث تاريخ الخميس للديار بكري.

(٥) سراقة بن مالك بن جعشم هو الذي تعرض لرسول الله ﷺ حين خرج من الغار وتوجه إلى المدينة وذلك أنه كانت قريش جعلت لمن أخذه عليه السلام مائة من الإبل فخرج سراقة فيمن يطلب فلحق به فقال ﷺ: «اللهم اكفني شر سراقة بما شئت» فساخت قوائم فرسه فثنى رجليه ثم اشتد، فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر، فدعا النبي ﷺ فأطلق الله عز وجل فرسه فعاد في طلب رسول الله ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك يدعو رسول الله ﷺ فتأخذ الأرض قوائم فرسه فلما أطلقه في الثالثة، قال: يا محمد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه وهذا سهم من كنانتي علامة وأنا أرجع فأرد عنك الطلب فقال: لا حاجة لنا فيما عندك. راجع الكافي ج٨ ص٣٦٢.

(٦) قال في النهاية: في حديث سراقة «ساخت قوائم فرسه» أي غاصت في الأرض.

(٧) قاع صفصف: المستوي من الأرض.

فعلم أنّ الّذي أصابه سماويٌّ فنادي يا محمّد ادع ربّك يطلق لي فرسي وذمّة الله عليَّ أن لا أدلَّ عليك أحداً، فدعا له فوثب جواده كأنّه أفلت من أنشوطة وكان رجلاً داهية وعلم بما رأى أنّه سيكون له نبأ، فقال: اكتب لي أماناً فكتب له وانصرف.

قال محمّد بن إسحاق: إن أبا جهل قال في أمر سراقة أبياتاً فأجابه سراقة:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً		لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأنّ محمّداً		نبيٌّ ببرهان فمن ذا يكاتمه

عليك بكفّ النّاس عنه فإنّني		أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

وروي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول لأبي بكر: ألـه النّاس عنّي فإنّه لا ينبغي لنبيّ أن يكذب وكان أبو بكر إذا سئل ما أنت؟ قال: باغ. فإذا قيل من معك؟ قال: هاد يهديني.

ومنها حديث الغار وأنّه عليه وآله السّلام لّما أوى إلى غار بقرب مكّة يعتوره النّزال[1] ويأوي إليه الرّعاء متوجّه إلى الهجرة، فخرج القوم في طلبه فعمى الله أثره وهو نصب أعينهم وصدَّهم عنه وأخذ بأبصارهم دونه وهم دهاة العرب وبعث سبحانه العنكبوت فنسجت في وجه النبيّ ﷺ فسترته وآيسهم ذلك من الطّلب فيه وفي ذلك يقول السيّد الحميري في قصيدته المعروفة بالمذهّبة:

حتّى إذا قصدوا لباب مغاره		ألقوا عليه نسيج غزل العنكب

صنع الإله له فقال فريقهم		ما في المغار لطالب من مطلب

ميلوا وصدَّهم المليك ومن يرد		عنه الدفاع مليكه لم يعطب[2]

وبعث الله حمامتين وحشيّتين فوقعتا بفم الغار، فأقبل فتيان قريش من كلّ بطن رجل بعصيّهم وهراواهم وسيوفهم حتّى إذا كانوا من النبيّ بقدر أربعين

---

(١) اعتور القوم الشيء: تعاطوه وتداولوه.

(٢) عطب يعطب ـ كعلم يعلم ـ: هلك.

ذراعاً، فعجّل رجل منهم لينظر من في الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له: ما لـك لا تنظر في الغار؟ فقال: رأيت حماماً بفم الغـار فعلمـت أن لـيس فيـه أحـد وسمـع النبيّ ﷺ ما قال، فدعا لهنّ النبيُّ ﷺ وفرض جزاءهنَّ فانحدرت في الحرم.

ومنها كلام الذّئب وذلك أنَّ رجلاً كان في غنمه يرعاها فأغفلها سويعة من نهاره فعرض ذئب فأخذ منها شاة، فأقبل يعدو خلفه فطرح الذّئب الشّاة ثم كلّمـة بكلام فصيح فقال: تمنعني رزقاً ساقه الله إليَّ فقال الرَّجل: يا عجباً الـذّئب يكلّـم فقال: أنتم أعجب وفي شأنكم للمعتبرين عبرة، هـذا محمّـد يـدعو إلى الحـقّ بـبطن مكّة وأنتم عنه لا هون فأبصر الرَّجل رشده وأقبل حتّى أسلم وأبقـى لعقبـه شـرفاً لا تخلقه الأيّام يفخرون به على العرب والعجم يقولون: إنّا بنو مكلّم الذّئب.

ومنها كلام الذّراع وهو أنّه أُتي بشاة مسمومة أهدتها له امرأة من اليهود بخيبر وكانت سألت أيُّ شيء أحبُّ إلى رسول الله ﷺ مـن الـشّاة؟ فقيـل لهـا: الـذّراع فسمّت الذَّراع فدعا ﷺ أصحابه إليه فوضع يده، ثم قال: ارفعوا فإنَّها تخبرني بأنّها مسمومة ولو كان ذلك لعلّة الارتياب باليهوديّة لما قبلها بدءاً ولا جمع عليها أصحابه وقد كان ﷺ تناول منها أقلّ شيء قبل أن كلّمته وكان يعاوده كلَّ سنة حتّى جعل الله ذلك سبب الشَّهادة، وكان ذلك باباً من التمحيص ليعلم أنّه مخلوق.

ومنها أن أصحابه صلوات الله عليه وآله أرملوا وضاق بهـم الحـال وصـاروا بمعرض الهلاك لفناء الأزواد يوم الأحـزاب فـدعاه رجـلٌ مـن أصـحابه إلى طعامـه فاحتفل القوم معه[1] فدخل وليس عند القـوم إلاّ قـوت رجـل واحـد أو رجلـين، فقال رسول الله ﷺ: غطّوا إناءكم ثمَّ دعا وبرَّك عليه وقدَّمه والقوم أُلوف فأكلوا وصدروا كأن لم يسغبوا قطُّ شباعاً ورواء[2]، والطعام بحاله لم يفقدوا منه شيئاً.

---

(١) الاحتفال الاجتماع ومنه المحفل أي مجتمع الناس.

(٢) السغاب: الجوع وضده الشبعان وجمعه شباع ـ ككتاب ـ.

ومنها أنّه اجتمع إليه فقراء قومه وأصحابه في غزوة تبوك وشكوا الجوع فدعا بفضلة زاد لهم فلم يوجد لهم إلاّ بضع عشرة تمرة وطرحت بين يديه فاحتفل القوم فوضع يده عليها وقال: كلوا بسم الله، فأكل القوم حتّى شبعوا وهي بحالها يرونها عياناً.

ومنها أنّه ﷺ ورد في هذه الغزاة على ماء لا يبل حلق واحد والقوم عطاش فشكوا ذلك إليه فأخذ سهماً من كنانة فدفعه إلى رجل من أصحابه ثمّ قال له: انزل فاغرزه في الرَّكي، فنزل فغرزه فيه ففار الماء وطما على أعلى الرَّكي[1] فارتوى القوم للمقام والظّعن[2] وهم ثلاثون ألفاً ورجال من المنافقين حضور الأبدان غائبو العقول.

ومنها ظبية كلّمته حين وقعت في شبكة فقالت: يا رسول الله إنّ لي طفلاً يحتاج إلى لبن وإنّي قد وقعت في هذه الشّبكة فخلّني حتّى أُرضعه فقال ﷺ: كيف أُخلّيك وصاحب الشّبكة غائب؟ قالت: إنّي أرجع فخلاّها وجلس حتّى رجعت الظّبية وجاء صاحبها فشفع رسول الله ﷺ حتّى خلّى سبيلها فاتّخذ القوم من ذلك الموضع مسجداً.

ومنها أنَّ قوماً شكوا إليه ملوحة مائهم وأنّهم في جهد من الظماء وبعد المياه وأن لا قوَّة لهم على شربه، فجاء معهم في جماعة أصحابه حتّى أشرف على بئرهم فتفل فيها ثمَّ انصرف، وكانت مع ملوحتها غائرة، فانفجرت بالماء العذب الفرات فها هي يتوارثها أهلها ويعدُّونها أسنى مفاخرهم وأجلَّ مكارمهم وإنّهم لصادقون وكان ممّا أكّد الله به صدقه، أنَّ قوم مسيلمة سألوه مثلها لّما بلغهم ذلك

---

(١) طما الماء: ارتفع وملأ النهر. والركية ـ كزكية ـ: البئر ذات الماء، جمعها ركايا وركيّ وغرز الإبرة في الشيء أدخلها فيه، والراكب رجله في الغرز: وضعها فيه.

(٢) الظعن ـ كفلس وفرس ـ: الرحال والسفر.

فأتى بثراً فتفل فيها فعادت ماؤها ملحاً أُجاجاً كبول الحمير وهي إلى اليوم بحالها معروفة الأهل والمكان.

ومنها أنَّ امرأة أتته بصبيّ لها ترجو البركة بأن يمسّه ويدعو له وكانت به عاهة فرحمها ـ والرَّحمة صفته ﷺ ـ فمسح يده على رأس الصبيّ فاستوى شعره وبرئ داؤه وبلغ ذلك أهل اليمامة فأتت مسيلمة امرأة بصبيّ لها فمسح يده على رأسه فصلع وبقي نسله إلى يومنا هذا صلعاً.

ومنها أنَّ قوماً من عبد القيس أتوه بغنم لهم فسألوه أن يجعل لها علامة يذكر بها، فغمز إصبعه في أُصول آذانها فابيضّت فهي إلى اليوم معروفة النّسل ظاهرة الأمر.

ومنها حديث الاستسقاء وأنَّ أهل المدينة مطروا حتّى أشفقوا من خراب دورها وانهدام بنيانها فقال ﷺ: اللّهمَّ حوالينا ولا علينا[1] فانجاب السّحاب عن المدينة وأطاف حولها مستديراً كالإكيل والشّمس طالعة في المدينة والمطر يهطل[2] على ما حولها يرى ذلك ظاهراً مؤمنهم وكافرهم، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه وقال: لله درُّ أبي طالب لو كان حيّاً قرَّت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رسول الله كأنّك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل[3]

يطوف به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل[4]

(١) يريد اللهم أنزل الغيث في مواضع النبات لا في مواضع الأبنية. وانجاب السحاب أي أنكشف.

(٢) يهطل أي ينزل متتابعاً متفرقاً، عظيم القطر، فهو هاطل وهي هاطلة.

(٣) الغمام ـ بالفتح ـ: السحاب والثمال ـ بكسر الثاء: الغياث والذي يقوم بأمر القوم.

(٤) الهلاك ـ كجهال ـ: الصعاليك والمنتجعون الذين قد ضلوا الطريق.

ومنها أنّه أخذ يوم بدر ملء كفّه من الحصاة فرمى بها وجوه المشركين وقال: شاهت الوجوه[1] فجعل الله سبحانه لتلك الحصاة شأناً عظيماً لم يترك من المشركين رجلاً إلاّ ملأت عينيه وجعل المسلمون والملائكة يقتلونهم ويأسرونهم يجدون كلّ رجل منهم منكبّاً على وجهه[2] لا يدري أين يتوجّه يعالج التّراب ينزعه من عينيه.

ومنها أمر ناقته حين افتقدت فأرجف المنافقون وقالوا: ينبئنا بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فلمّا خاف صلوات الله عليه وآله على المؤمنين وساوس الشّيطان دلّهم عليها ووصف لهم حالها والشّجرة التي هي متعلّقة بها، فأتوها فوجدوها كما وصف.

ومنها أنّ القمر انشقّ له بنصفين بمكّة في أوّل مبعثه وقد نطق به القرآن وقد صحَّ عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: انشقَّ القمر حتّى صار فرقتين فقال كفّار أهل مكّة: هذا سحر سحركم به ابن كبشة[3] انظروا السفّار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحركم به، قال: فسئل السفّار قد قدموا من كلّ وجه فقالوا: رأيناه ـ استشهد البخاريُّ في الصّحيح بهذا الخبر بأنَّ ذلك كان بمكّةـ.

ومنها أنَّ رجلاً من أصحابه أُصيب بإحدى عينيه في بعض مغازيه فسالت الدَّم حتّى وقعت على خدّه فأتاه مستغيثاً به فأخذها بيده فردَّها مكانها فكانت أحسن عينيه وأصحّهما وأحدَّهما نظراً.

(١) شاهت الوجوه أي قبحت.

(٢) نكب عن الطريق عدل وتنحى، وعن الشيء: نحاه.

(٣) قال الطريحي: كان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة وكان أبو كبشة رجلاً من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأوثان شبهوه به وقيل: هو نسبة إلى جد النبي لأمه، فأرادوا أنه نزع إليه في الشبه.

ومنها أن أبا براء ملاعب الأسنّة كان به استسقاء فبعث إليه لبيد بن ربيعة وأهدى له فرسين ونجائب، فقال عليه السلام : لا أقبل هديّة مشرك، قال لبيد: وما كنت أرى أنَّ رجلاً من مضر يرد هديّة أبي براء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لو كنت قابلاً هديّة من مشرك لقبلتها، قال: فإنّه يستشفيك من علّة أصابته في بطنه. فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثمَّ أعطاه وقال: دفها بماء ثمَّ اسقه إيّاه فأخذها متعجّباً يرى أنّه قد استهزأ به،فأتاه فشربه وأُطلق من مرضه كأنّما أُنشط من عقال[1].

ومنها شكوى البعير إليه عند رجوعه إلى المدينة من غزاة بني ثعلبة فقال: أتدرون ما يقول هذا البعير؟ قال جابر: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّه يخبرني أنَّ صاحبه عمل عليه حتّى إذا أكبره وأدبره[2] وأهزله أراد نحره وبيعه لحماً، يا جابر إذهب معه إلى صاحبه فأتني به، قال: قلت: والله ما أعرف صاحبه، قال: هو يدلّك قال: فخرجت معه حتّى انتهيت إلى بني حنظلة أوبني واقف، قلت: أيّكم صاحب هذا البعير؟ قال بعضهم: أنا، قلت: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجئت أنا وهو والبعير إلى رسول الله، قال: فبعنيه، قال: هو لك صلى الله عليه وآله وسلم قال: بل بعنيه فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة فكان الرَّجل منّا إذا أراد الرَّوحة والغدوة منحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3] قال جابر: فرأيته وقد ذهبت دبرته ورجعت إليه نفسه.

ومنها أنَّ أبا جهل عاهد الله أن يفضخ رأسه صلى الله عليه وآله وسلم[4] بحجر إذا سجد في صلاته، فلمّا قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي وسجد وكان إذا صلّى بين الرّكنين:

---

(١) قال الجزري: دفت الدواء أدوفه إذا بللته بماء وخلطته فهو مدوف ومدووف على الأصل. وقال: أنشطت الحبل: عقدته، وأنشطته: حللته.

(٢) الدبر ـ بالتحريك ـ: الجرح الذي يكون في ظهر البعير. وقيل:هو أن يقرح خف البعير (النهاية).

(٣) منحه الشيء أي أعطاه.

(٤) فضخ الشيء: كسره، والرأس: شدخه أي كسره.

الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشّام احتمل أبو جهل الحجر، ثمَّ أقبل نحوه حتّى إذا دنا منه رجع مستنقعاً لونه[١] مرعوباً، قد يبست يداه على حجره حتّى قذف الحجر من يده وقام إليه رجال من قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: عرض لي دونه فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته وقصرته[٢] ولا أنيابه لفحل قطّ فهمَّ أن يأكلني.

ومنها أنَّ أبا جهل اشترى من رجل طارئ بمكّة[٣] إبلاً فبخسه أثمانها ولوا بحقّه فأتى الرَّجل نادي[٤] قريش مستجيراً بهم وذكّرهم حرمة البيت فاحالوه على النبيّ ﷺ استهزاء به فأتاه مستجيراً به فمضى معه ودقَّ الباب على أبي جهل فعرفه فخرج منخوب العقل[٥] فقال: أهلاً بأبي القاسم، فقال له أعط هذا حقّه، قال: نعم فأعطاه من فوره فقيل له في ذلك، فقال: إنّي رأيت ما لم تروا، رأيت والله على رأسه تنّيناً فاتحاً فاه والله لو أبيت لالتقمني[٦].

ومنها ما روته أسماء بنت أبي بكر قالت: لمّا نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أُمُّ جميل بنت حرب ولها ولولة وهي تقول: مذمّماً أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، النبيُّ ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلمّا رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله: لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال، وقرأ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا

(١) استنقع لونه: تغير، والماء: اصفرّ.

(٢) القصرة محركة: العنق وأصل الرقبة إذا غلظت.

(٣) الطارئ: الغريب مطلقاً أو الغريب الذي يأتي عن قريب.

(٤) لوى برأسه أماله وأعرض. والنادي: المجلس ومحل اجتماع القوم.

(٥) رجل نخب ـ بكسر الخاء المعجمة ـ: جبان لا فؤاد له وهكذا نخيب ومنخوب. وفي بعض النسخ [مبهوت العقل] وفي بعضها [منخوب القلب].

(٦) التنين ـ كسكين ـ: الحية العظيمة. والتقمه أي ابتلعه.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾[1] فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله، فقالت: يا أبا بكر أخبرت أنَّ صاحبك هجاني، فقال: لا وربّ البيت ما هجاك، فولتّ وهي تقول: قريش تعلم أنّي بنت سيّدها.

ومنها ما رواه الكلبّي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس أنَّ ناساً من بني مخزوم تواصوا بالنبيّ ﷺ ليقتلوه منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة ونفر من بني مخزوم، فبينا النبيّ ﷺ قائم يصلّي إذ أرسلوا إليه الوليد ليقتله، فانطلق حتّى انتهى إلى المكان الذي كان يصلّي فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك فأتاه من بعده أبو جهل والوليد ونفر منهم فلمّا انتهوا إلى المكان الذي يصلّي فيه سمعوا قراءته وذهبوا إلى الصّوت، فإذا الصّوت من خلفهم فيذهبون إليه فيسمعونه أيضاً من خلفهم فانصرفوا، ولم يجدوا إليه سبيلاً، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾.

ومنها أنّه كان في غزاة الطّائف ومسيره ليلاً على راحلته بوادي بقرب الطّائف يقال له: نجيب ذو شجر كثير من سدر وطلح، فغشي وهو في وسن النّوم سدرة في سواد اللّيل فانفرجت السدرة له بنصفين فمرَّ بين نصفيها وبقيت السدرة منفرجة على ساقين على زماننا هذا وهي معروفة مشهور أمرها هناك وتسمّى شجر سدرة النبيّ ﷺ أورده الشيخ أبو سعيد الواعظ في كتاب شرف النبيّ، ولو عدَّدنا جميع معجزاته وأعلامه صلوات الله عليه وآله الّتي رواها المحدّثون في كتبهم لطال الكتاب فإن نبيّنا ﷺ أكثر الأنبياء أعلاماً وقد ذكر بعض المصنّفين أنَّ أعلامه تبلغ ألفاً فالأولى الاقتصار على الاختصار وسنذكر بعض آياته وأعلامه

---

(١) الإسراء: ٤٥.

ومعجزاته ﷺ فيما يأتي من أخبار مبعثه إلى هجرته وغزواته وقدوم الوفود عليه إلى وقت وفاته على سبيل الإيجاز إن شاء الله تعالى.

وأما آياته صلوات الله عليه وآله في إخباره بالغائبات والكوائن بعده فأكثر من أن تحصى وتعدَّ.

فمن ذلك ما روي عنه في معنى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ وهو ما رواه أُبيٌّ بن كعب أنَّ رسول الله ﷺ قال: بشّر هذه الأُمّة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب.

وروى بريدة الأسلميّ أنّه ﷺ قال: ستبعث بعوث فكن في بعث يأتي خراسان ثم اسكن مدينة مرو فإنّه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة وقال: لا يصيب أهلها سوء.

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتّى يقاتلوا خوراً وكرمان قوم من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، كأنَّ وجوههم المجان المطرقة(١).

وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ذات ليلة فيما يرى النائم كان في دار عقبة بن رافع فأُتينا برطب من رطبان طاب فأوَّلت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وأنَّ ديننا قد طاب.

---

(١) قال الجزري: الفطس ـ محركة ـ: انخفاض قصبة الأنف وانفراشها والرجل أفطس. وقال: «المجان المطرقة» المجان: جمع مجن أي الترس التي ألبست العقب شيئاً فوق شيء. والعقب العصب الذي تعمل منه الأوتاد. وقال: خوز وكرمان وروى خوزاً وكرمان والخوز جبل معروف في العجم ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدار قطني. وقيل: إذا أضيف فبالراء وإذا عطف فبالزاي.

ومن ذلك إخباره بما يحدث أُمّته بعده نحو قوله ﷺ: لترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض ـ رواه البخاريّ في الصحيح مرفوعاً إلى ابن عمر ـ.

وقوله ـ رواه أبو حازم عن سهل بن حنيف عن النبيّ ﷺ ـ: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: سمع نعمان بن أبي عيّاش وأنا أُحدّث الناس بهذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قلت: نعم قال: فأنا أشهد على أبي سعيد الخدريّ يزيد فيه: «وأقول: إنّهم أُمّتي فيُقال: إنّك لا تدري ما فعلوا بعدك فأقول سحقاً لمن بدَّل بعدي» ـ ذكره البخاريُّ في الصحيح ـ.

قوله ﷺ فيما رواه شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن أبي حازم أنَّ عائشة لما أتت على الحوأب[1] سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنّني إلاّ راجعة سمعت النبيّ ﷺ قال لنا: أيّتكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب؟ فقال الزبير: لعلَّ الله أن يصلح بك بين النّاس[2].

وقوله ﷺ للزبير لمّا لقيه وعلياً عليه السلام في سقيفة بني ساعدة فقال: أتحبّه يا زبير؟ قال: وما يمنعني؟ قال: فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له.

وعن أبي جروة المازني قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول للزبير: نشدتك الله أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّك تقاتلني وأنت ظالم لي؟ قال: بلى ولكنّي نسيت.

وقوله ﷺ لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية. ــ أخرجه مسلم في الصحيح ــ.

---

(١) في النهاية: الحوأب منزل بين البصرة ومكة الذي نزلته عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل.

(٢) راجع كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص١١٦ إن أردت أن تحيط بذلك خبراً.

وعـن أبي البختـريّ أنَّ عمّـاراً أُتي بـشربة مـن لـبن فـضحك فقيـل لـه: مـا يضحكك؟ قال: إنَّ رسول الله ﷺ أخبرني وقال: هـو آخـر شـراب أشـربه حـين أموت.

وقولـه ﷺ في الخـوارج: سـتكون في أُمّـتي فرقـة يحـسنون القـول ويـسيئون الفعل يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، يقرءون القرآن لا يجاوز تـراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم مـن الرميـة، لا يرجعـون إليـه حـتى يرتـدَّ علـى فوقه[1] هم شرُّ الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلوه طوبى لمن قتلهم، ومن قتلـهم كـان أولى بالله منهم قالوا: يا رسول الله فما سيماهم؟ قال: التحليق ـ رواه أنـس بـن مالك عنه ﷺ[2] ـ.

وقوله ﷺ لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الأُمّة ستغدر بك بعدي.

وقوله ﷺ: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومن ذلك إخباره بقتل معاوية حجراً وأصحابه فيما رواه ابن وهب عـن أبي لهيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملـك علـى قتـل أهل عذراء حجراً وأصحابه فقال: يا أُمَّ المؤمنين إنّي رأيت قتلـهم صـلاحاً للأُمّـة وبقاءهم فساداً للأُمّة.

فقالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: سيقتل بعذراء أُناس[3] يغضب الله لهم وأهل السماء.

---

(١) الفوق ـ بالـضم ـ:موضـع الـوتر مـن الـسهم والمعنـى أنهـم لا يرجعـون إلـى الـدين كمـا لا يرجـع السهم بعد خروجه من الرمية على جهة فوقه وفي النهاية « يمرقـون مـن الـدين» أي يجوزونـه ويخرقونه ويعتدونه كما يمرق السهم من الشيء المرمي به.

(٢) قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ: كون التحليق علامة لهم لا يدل علـى ذم حلـق الـرأس كمـا ورد «أنه مثلة لأعدائكم وجمال لكم».

(٣) العذراء: مدينة النبي وبلا لام موضع على بريد من دمشق وقرية بالشام. (القاموس).

الفصل الأول: في ذكر مبدأ المبعث

ذكر عليٌّ بن إبراهيم ـ وهو من أجلّ رواتنا ورواة أصحابنا ــ في كتابه أنَّ النّبيّ ﷺ لّما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأنَّ آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله فينكر ذلك، فلمّا طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: جبرئيل، أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً، فأخبر رسول الله ﷺ خديجة بذلك، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر اليهود وخبر بحيراء وما حدَّثت به آمنة أُمّه، فقالت: يا محمّد إنّي لأرجو أن يكون كذلك وكان رسول الله ﷺ يكتم ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وأنزل عليه ماء من السماء فقال: يا محمّد قم توضّأ للصلاة، فعلّمه جبرئيل الوضوء وغسل الوجه واليدين من المرفق ومسح الرَّأس والرجلين إلى الكعبين وعلّمه السجود والركوع، فلمّا تمَّ له ﷺ يصلّي ركعتين ركعتين في كلّ وقت، وكان عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه ولا يفارقه، فدخل عليٌّ عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وهو يصلّي، فلمّا نظر إليه يصلّي قال: يا أبا القاسم ما هذه؟ قال: الصلاة التي أمرني الله بها، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصلّى معه، وأسلمت خديجة وكان لا يصلّي إلاّ رسول الله وعليٌّ وخديجة عليهم السلام، فلمّا أتى لذلك أيّام دخل أبو طالب إلى رسول الله ﷺ ومعه جعفر فنظر إلى رسول الله وعليٌّ بجنبه يصليّان، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمّك[1] فوقف جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الجانب الآخر فلمّا وقف

---

(١) قال المجلسي ـ ره ـ: «صل» أمر من وصل يصل أي لما كان علي عليه السلام في أحد جنبيه بمنزلة جناح واحد، فقف بجنبه الآخر ليتم جناحاه ويحتمل التشديد من الصلاة والأول أبلغ وأظهر.

جعفر علي يساره برز رسول الله ﷺ من بينهما وتقدَّم، وأنشأ أبو طالب في ذلك يقول:

إنَّ عليّـــاً وجعفـــراً ثقـــتي	عنـد ملـمّ الزَّمـان والكـرب
والله لا أخـــذل الـــنّبيَّ ولا	يخذلـه مـن بـنيَّ ذو حـسب
لاتخذلا وانصرا ابن عمّكما	أخـي لأُمّـي مـن بينـهم وأبي

قال: وكان رسول الله ﷺ يتّجر لخديجة قبل أن يتزوَّج بها وكان أجيراً لها فبعثته في عير لقريش إلى الشّام مع غلام لها يقال لها: ميسرة، فنزلوا تحت صومعة راهب من الرّهبان، فنزل الرَّاهب من الصومعة ونظر إلى رسول الله ﷺ وقال: من هذا؟ قالوا: هذا ابن عبد المطّلب قال: لا ينبغي أن يكون أبوه حيّاً ونظر إلى عينيه وبين كتفيه فقال: هذا نبيُّ الأُمّة، هذا نبيُّ السّيف، فرجع ميسرة إلى خديجة فأخبرها بذلك وكان هذا هو ٱلّذي أرغب خديجة في تزويجها نفسها معه، وربحت في تلك السّفرة ألف دينار، ثمّ خرج رسول الله ﷺ إلى بعض أسواق العرب فرأى زيداً ووجده غلاماً كيّساً فاشتراه لخديجة فلمّا تزوّجها رسول الله ﷺ وهبته منه فلمّا نبّيء رسول الله ﷺ وأسلم عليٌّ أسلم زيد بعده فكان يصلّي خلف رسول الله ﷺ وجعفر وزيد وخديجة.

وذكر الشّيخ أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي في كتاب دلائل النّبوَّة أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدَّثنا محمّد بن أحمد بن عبد الله المزني، قال: حدَّثنا يوسف بن موسي المروزيّ، قال: حدَّثنا عباد بن يعقوب، قال: حدَّثنا يوسف بن أبي نور، عن السّديّ عن عباد بن عبد الله، عن عليّ عليه السلام قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بمكّة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلاّ قال له: السّلام عليك يا رسول الله.

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا محمّد بن جعفر بن محمّد بن نصير، حدَّثنا محمّد بن عبد الله بن سليم، حدَّثنا محمّد بن العلاء، حدَّثنا يونس بن عيينة، عن إسماعيل بن عبد الرَّحمن، عن السّديّ عن عباد قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لقد رأيتني أدخل معه ـ يعني النبيَّ ـ الوادي فلا يمرُّ بحجر ولا شجر إلاّ قال: السّلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمعه.

أخبرنا الحافظ قال: حدَّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار، حدَّثنا يونس بن بكر، عن أبي إسحاق، حدَّثنا يحيى بن أبي الأشعث الكنديّ حدَّثني إسماعيل بن أياس بن عفيف، عن أبيه، عن جّده عفيف قال: كنت امرءاً تاجراً فقدمت مني أيّام الحجّ وكان عبّاس بن عبد المطّلب امرءاً تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال: فبينا نحن إذ خرج رجلٌ من خباء يصلّي فقال تجاه الكعبة ثمّ خرجت امرأة فقامت تصلّي، وخرج غلام يصلّي معه، فقلت: يا عبّاس ما هذا الدّين؟ إنَّ هذا الدّين ما ندري ما هو؟ فقال: هذا محمّد بن عبد الله يزعم أنَّ الله أرسله، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمّه عليّ بن أبي طالب آمن به، قال عفيف: فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانياً تابعه.

إبراهيم بن سعد، عن محمّد بن إسحاق، قال في الحديث: إذا خرج من خباء فوثب نظر إلى السّماء فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي ثمّ ذكر قيام خديجة خلفه.

وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل بإسناد ذكره، عن مجاهد بن جبر قال: كان ممّا أنعم الله على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأراد به الخير أنَّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله للعبّاس عمّه وكان من أيسر بني هاشم: يا عبّاس إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال وأصاب النّاس ما ترى

من هذه الأزمة فانطلق حتّى نخفّف عنه من عياله، فانطلقا إليه وقال له، فقال: اتركوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم فأخذ رسول الله ﷺ عليّاً فضمّه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتّى بعثه الله نبيّاً فاتّبعه عليّ وآمن به وصدَّقه.

قال عليّ بن إبراهيم: فلمّا أتى لرسول الله ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾فخرج رسول الله ﷺ وقام على الحجر وقال: يا معشر قريش ويا معشر العرب أدعوكم إلى عبادة الله وخلع الأنداد والأصنام وأدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين بها لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنّة فاستهزؤوا منه وضحكوا وقالوا: جنَّ محمّد بن عبد الله وآذوه بألسنتهم، فقال له أبو طالب: يا ابن أخ ما هذا؟ قال: يا عمُّ هذا دين الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ودين إبراهيم والأنبياء من بعده، بعثني الله رسولاً إلى النّاس. فقال: يا ابن أخي إنَّ قومك لا يقبلون هذا منك، فاكفف عنهم! فقال: لا أفعل فإنّ الله قد أمرني بالدُّعاء فكفَّ عنه أبو طالب وأقبل رسول الله ﷺ في الدُّعاء في كلّ وقت يدعوهم ويحذّرهم، فكان من سمع من خبر ما سمع من أهل الكتب يسلمون فلمّا رأت قريش من يدخل في الإسلام جزعوا من ذلك ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: اكفف عنّا ابن أخيك فإنّه قد سفّه أحلامنا وسبَّ آلهتنا وأفسد شبّاننا وفرَّق جماعتنا، فدعاه أبو طالب فقال: يا ابن أخي إنَّ القوم قد أتوني يسألونك أن تكفَّ عن آلهتهم، قال: يا عمّ لا أستطيع أن أعصي أمر ربّي فكان يدعوهم ويحذّرهم العذاب، فاجتمعت قريش إليهم فقالوا: ندع ثلاثمائة وستّين إلهاً ونعبد إلهاً، فحكى الله سبحانه قولهم ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ــــ إلى قوله ــــ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ ثمَّ

اجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن كان ابن أخيك يحمله على هذا الفعل العدم جمعنا له مالاً فيكون أكثر من قريش مالاً، فدعاه أبو طالب وعرض ذلك عليه فقال له رسول الله ﷺ: يا عمُّ ما لي حاجة في المال فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدُّنيا وملوكاً في الآخرة وتدين لكم العرب والعجم فتفرَّقوا، ثمَّ جاؤوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب أنت سيّد من سادتنا وابن أخيك قد سفّه أحلامنا وسبَّ آلهتنا وفرَّق جماعتنا فهلمَّ ندفع إليك أبهى فتى في قريش وأجملهم وأحسنهم وجهاً وأشبّهم شباباً وأشرفهم شرفاً عمارة بن الوليد، يكون لك ابناً وتدفع إلينا محمّداً لنقتله، فقال: ما أنصفتموني تسألوني أن أدفع إليكم ابني لتقتلوه وتدفعون إليَّ ابنكم لأُربّيه، فلمّا أيسوا منه كفّوا.

في ذكر كفاية الله المستهزئين وما ظهر فيها من الآيات

قال: وكان المستهزئون برسول الله خمسة نفر: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهميّ، والأسود بن المطّلب وهو أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث من بني زهرة، والحارث بن الطلاطلة الخزاعيُّ، قال: فمرَّ الوليد بن المغيرة برسول الله ﷺ ومعه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمّد هذا الوليد بن المغيرة وهو من المستهزئين فقال: نعم، وكان مرَّ برجل من خزاعة على باب المسجد وهو يريش نبالاً له[1] فوطئ على بعضها فأصاب أسفل عقبه قطعة من ذلك فدميت وأشار جبرئيل إلى ذلك الموضع فسال الدَّم حتّى صار على فراش ابنته فصاحت ابنته وقالت: يا جارية انحلَّ وكاء القربة[2] فقال لها الوليد: يا بنيّة ما هذا ماء القربة ولكنّه دم أبيك فاجمعي لي ولدي وولد أخي فإنّي ميّت، فلمّا حضروا أوصاهم بوصيّة وفاتت نفسه، ومرَّ الأسود بن المطّلب برسول الله ﷺ فأشار جبرئيل إلى

(١)أبري النبل وأريشها أي أنحتها وأعمل لها ريشاً. (النهاية)

(٢) الوكاء: رباط القربة ونحوها وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه.

بصره فعمي، ثمَّ مات بعد ذلك، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبرئيل إلى بطنه فاستسقى فانتفخ حتّى انشقَّ بطنه، ومرَّ به العاص بن وائل فأشار جبرئيل إلى رجله فدخلت جذلة في أخمص قدميه[1] وخرجت من ظاهر قدمه فورمت رجله فمات، ومرَّ به الطّلاطلة فتفل جبرئيل في وجهه فخرج إلى جبال تهامة فأصابه السّموم فاحترق واسودَّ فرجع إلى منزلة فلم يدعوه أن يدخل وقالوا: لست بصاحبنا فخرج من منزله فأصابه العطش فما زال يستسقي حتّى انشقَّ بطنه وهو قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾.

في ذكر ما لقي رسول الله من أذى المشركين وإسلام حمزة بن عبد المطلب

قال: جدَّت قريش في أذى رسول الله ﷺ وكان أشدَّ النّاس عليه عمّه أبو لهب وكان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً في الحجر فبعثوا إلى سلى الشّاة[2] فألقوه على رسول الله ﷺ فاغتمَّ رسول الله من ذلك فجاء إلى أبي طالب، فقال: يا عمُّ كيف حسبي فيكم؟ قال: وما ذاك يا ابن أخي؟ قال: إنّ قريشاً ألقوا عليَّ السّلى، فقال أبو طالب لحمزة: خذ السّيف وكانت قريش جالسة في المسجد، فجاء أبو طالب عليه السلام ومعه السّيف وحمزة ومعه السيف فقال أمرّ السلى على سبالهم فمن أبى فاضرب عنقه فما تحرَّك أحدٌ حتى أمرَّ السلى على سبالهم ثمَّ التفت إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخ هذا حسبك فينا.

---

(١) أخمص القدم: باطن الكف من القدم الذي لا يصيب الأرض وربما يراد به القدم كلها.

(٢) قال الجزري: «إن المشركين جاءوا بسلى جزور فطرحوه على النبي ﷺ وهو يصلي» السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. وقيل: هو في الماشية السلى وفي الناس: المشيمة. والأول أشبه لأن المشيمة يخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج اهـ. والسبال جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها.

وفي كتاب دلائل النبوَّة، عن أبي داود، عن شعبة، عـن أبي إسـحاق سمعت عمرو بن ميمون يحدّث عن عبد الله قال: بينا رسول الله ﷺ ساجدٌ وحوله ناس من قريش ـ وثَمَّ سلى بعير فقالوا من يأخذ سلى هذا الجزور أو البعير فيقذفه على ظهره؟ فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبيّ ﷺ وجاءت فاطمة عليها السلام[1] فأخذته من ظهره؟ ودعت على من صنع ذلك، قال عبد الله: فما رأيت رسول الله دعا عليهم إلاّ يومئذ فقال: ودعت على من صنع ذلـك، قـال عبـد الله: فمـا رأيت رسول الله دعا عليهم إلاّ يومئذ فقال: اللّهمَّ عليك الملأ مـن قـريش اللّهـمَّ عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بـن أبي معـيط وأُميّة بن خلف أو أُبيّ هشام، وعتبة بـن ربيعـة، وشـيبة بـن ربيعـة، وعقبـة بـن أبي معيط وأُميّة بن خلف أو أُبيّ بن خلف ـ شك شعبة ــ عـدَّ سبعة قـال: عبـد الله فرأيتهم لقد قتلوا يوم بدر وأُلقوا في القليب أو قال: في بئر غير أنَّ أُميّة بـن خلـف أو أُبي بن خلف كان رجلاً بادناً[2] فتقطّع قبل أن يبلغ به البئر ـ أخرجه البخـاري في الصحيح ــ.

قال الحافظ: أخبرنا أبو بكر الفقيه، أخبرنا بشر بن موسى، حدَّثنا الحميدي، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا بيان بن بشر، وإسماعيل بن أبي خالد قالا: سمعنا قيساً يقول: سمعنا خبّاباً يقول: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردة له في ظلّ الكعبة، ولقد لقينا من المشركين شدّة شديدة فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعـد وهـو محمرٌّ وجهه، فقال: إن كان مَن كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عـن دينـه، ويوضـع المنشار على مفـرق رأسه فيشقّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمّنَّ الله هذا الأمر حتّى ليسير الراكب

(١) كذا. وفيه نظر لتأخر ولادتها.

(٢) البادن: السمين والضخم.

من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلاّ الله هذا الأمر حتّى ليسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلاّ الله عزَّ وجلَّ أو الذّئب على غنمه ــ رواه البخاريّ في الصحيح عن الحميديّ وأخرجه من وجه آخر عن إسماعيل ــ.

قال: وحدَّثنا الحافظ بإسناده، عن هشام، عن أبي الزُّبير، عن جابر، أنَّ رسول الله مرَّ بعمّار وأهله يعذَّبون في الله فقال: أبشروا آل عمّار فإنّ موعدكم الجنّة.

وأخبرنا ابن بشران العدل بإسناده، عن مجاهد قال: أوّل شهيد كان استشهد في الإسلام أمُّ عمّار سميّة، طعنها أبو جهل طعنة في قلبها.

وروى عليّ بن إبراهيم بن هاشم بإسناده قال كان أبو جهل تعرَّض لرسول الله ﷺ وآذاه بالكلام واجتمعت بنو هاشم فأقبل حمزة وكان في الصّيد فنظرنا إلى اجتماع النّاس فقال: ما هذا؟ فقالت له امرأة من بعض السّطوح: يا أبا يعلى إنَّ عمرو بن هشام تعرَّض لمحمّد وآذاه، فغضب حمزة ومرَّ نحو أبي جهل وأخذ قوسه فضرب بها رأسه ثمَّ احتمله فجلد به الأرض واجتمع النّاس وكاد يقع فيهم شرٌّ، فقالوا: يا أبا يعلى صبوت إلى دين ابن أخيك؟ قال: نعم أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمّداً رسول الله، على جهة الغضب والحميّة. فلمّا رجع إلى منزله ندم فغدا على رسول الله ﷺ سورة من القرآن، فاستبصر حمزة وثبت على دين الإسلام وفرح رسول الله ﷺ وسرَّ أبو طالب بإسلامه وقال في ذلك:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدّين وفّقت صابرا

وخط من أتى بالدّين من عند ربّه ... بصدق وحقّ لا تكن حمز كافرا[1]

فقد سرَّني إذ قلت أنّك مؤمن ... فكن لرسول الله في الله ناصرا

وناد قريشاً بالّذي قد أتيته ... جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

---

(١) «خط من أتى الخ » أي مشى موضع قدمه وقد يقرأ في بعض النسخ «حط» بالحاء المهملة.

في ذكر إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس ودخوله بعد ذلك في شعب أبي طالب

ثمَّ أُسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس وحمله جبرئيل على البراق فأتى به بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلّى بهم وردَّه فمرّ رسول الله ﷺ في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية فشرب منها وكفأ[1] ما بقي وقد كانوا أضلّوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فلمّا أصبح قال لقريش: إنَّ الله قد أسرى بي إلى بيت المقدس فأراني آيات الأنبياء ومنازلهم وإنّي مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلّوا بعيراً لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك، فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه فاسألوه كم فيها من الأساطين والقناديل، فقالوا: يا محمّد إنَّ ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا أساطينه وقناديله ومحاريبه، فجاء جبرئيل فعلّق صورة بيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه عنه، فلمّا أخبرهم قالوا: حتّى يجيء العير نسألهم عمّا قلت، فقال لهم رسول الله ﷺ: تصديق ذلك أنَّ العير يطلع عليكم عن طلوع الشّمس يقدمها جملٌ أحمر عليه غرارتان فلمّا كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع السّاعة فبينما هم عمّا قال رسول الله ﷺ، قالوا: لقد كان هذا ضلَّ لنا بعير في موضع كذا وكذا ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أريق الماء، فلم يزدهم ذلك إلاّ يكلّموهم ولا يبايعوهم ولا يزوّجوهم ولا يتزوَّجوا إليهم ولا يحضروا معهم حتّى يدفعوه إليهم ليقتلوه، وأنّهم يد واحدة على محمّد ﷺ ليقتلوه غيلة أو صراحاً[2] فلمّا بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخل الشّعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والرُّكن والمقام لئن شاكت محمّداً شوكة لأثبنَّ عليكم يا بني هاشم وحصّن الشعب وكان يحرسه باللّيل والنّهار، فإذا جاء

---

(١) كفأت الإناء وأكفأته أي كببته وأملته.

(٢) الغيلة: فعل من الاغتيال وهو أن يخدع ويقتل في موضع لا يراه أحد. وهي ضد صراح.

اللّيل يقوم بالسّيف عليه ورسول الله مضطجع ثمَّ يقيمه ويضجعه في موضع، فلا يزال اللّيل كلّه هكذا وكّله ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنّهار وأصابهم الجهد، وكان من دخل من العرب مكّة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً أو باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهميُّ، والنّضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطّرقات التي تدخل مكّة فمن رأوه معه ميرة[1] نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً ويحذّرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله، وكانت خديجة لها مالٌ كثيرٌ فأنفقته على رسول الله ﷺ في الشعب ولم يدخل في الصحيفة مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد المطّلب بن عبد مناف، وقال: هذا ظلمٌ وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كلّ رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلّقوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك، وكان رسول الله ﷺ يخرج في كلّ موسم ويدور على قبائل العرب فيقول لهم: تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب الله ربّي وثوابكم على الله الجنّة. وأبو لهب في أثره فيقول: لا تقبلوا منه فإنّه ابن أخي وهو ساحرٌ كذّاب، فلم يزل [هذا] حاله فبقوا في الشّعب أربع سنين لا يأمنون إلاّ من موسم ولا يشترون ولا يبايعون إلاّ في الموسم، وكان يقوم بمكّة موسمان في كلّ سنة موسم العمرة في رجب وموسم الحجّ في ذي الحجّة، فكان إذا جاء الموسم يخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثمَّ لا يجسر أحدٌ منهم أن يخرج إلى الموسم الثّاني فأصابهم الجهد وجاعوا وبعثت قريش إلى أبي طالب ادفع إلينا محمّداً لنقتله ونملكك علينا، فقال أبو طالب قصيدته الطّويلة يقول فيها:

فلمّا رأيت القوم لا ودَّ فيهم	وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل
ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذَّب	لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

(١) الميرة: الطعام الذي يدخره الإنسان. أو ما يجلب منه للبيع.

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتم بيت الله ــ نبزي محمّداً ولمّا نطاعن دونه ونناضل[1]

ونُسلمه حتّى نُصرَّع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل[2]

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد وأحببته حبَّ الحبيب المواصل

وجُدت بنفسي دونه وحَميته ودافعت عنه بالذُّرا والكلاكل[3]

فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها وشيناً لمن عادى وزين المحافل

حليماً رشيداً حازماً غير طائش يوالي إله الحقّ ليس بماحل[4]

فأيّده ربُّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطل

فلمّا سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه فلمّا أتى لرسول الله ﷺ في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابّة الأرض فلحست جميع[5] ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب، فقام أبو طالب فلبس ثيابه ثمّ مشى حتّى دخل المسجد على قريش وهم يجتمعون فيه، فلمّا بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلّم ابن أخيه فدنا منهم وسلّم عليهم فقاموا إليه وعظّموه

---

(١) «نبزي محمداً» أي نسلبه ونغلب عليه وفي النهاية «يبزى محمد» أي يقهر ويغلب أراد «لا نبزي» فحذف«لا» من جواب القسم، وهي مرادة وكذا في لسان العرب. وقوله «نناضل» أي نرامي بالسهام. وفي بعض النسخ مكانه [نقاتل].

(٢) ذهل الشيء وعنه: نسيه. والحلائل: الزوجات، واحدتها حليلة.

(٣) «جدت بنفسي» أي بذلت نفسي دونه. وفي بعض النسخ [حدبت] أي عطفت ومنعت. والذرا جمع ذروة وهي أعلى ظهر البعير. وقوله: «دافعت» في بعض النسخ [داريت]. والكلاكل: جمع كلكل وهو عظم الصدر. وفي بعض النسخ [الكواهل].

(٤) الطيش: الخفة. والماحل: الخصم المجادل.

(٥) لحس الدود الصوف: أكله، الجراد الخضر: رعاه.

وقالوا: يا أبا طالب قد علمنا أنّك أردت مواصلتنا والرّجوع إلى جماعتنا وأن تسلّم إلينا ابن أخيك، قال: والله ما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أنَّ الله أخبره أنّه قد بعث علي صحيفتكم القاطعة دابّة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان باطلاً دفعته إليكم وعليها أربعون خاتماً فلمّا أتوا بها نظر كلّ رجل منهم إلى خاتمه ثمَّ فكّوها فإذا ليس فيها حرفٌ إلاّ باسمك اللّهمَّ فقال لهم أبو طالب: يا قوم أتقوا الله وكفّوا عمّا أنتم عليه، فتفرَّق القوم ولم يتكلّم أحدٌ منهم ورجع أبو طالب إلى الشّعب وقال في ذلك قصيدته البائيّة الّتي أوّلها:

ألا من لهمٍّ آخر اللّيل منصب	وشعب القضا من قومك المتشعّب
وقد كان في أمر الصّحيفة عبرة	متى مايخبّر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم	وما نقموا من ناطق الحقّ معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلا	ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدّقاً	على سخط من قومنا غير معتب[1]
فلا تحسبونا مسلمين محمّداً	لذي عزَّة منّا ولا متعزّب
ستمنعه منّا يد هاشميّة	مُركّبها في النّاس خير مركّب

وقال عند ذلك نفرٌ من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدهم نساء بني هاشم منهم مطعم بن عدي بن عامر بن لؤي وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد وأبو البختري بن هشام وزهير بن أُميّة المخزومي في رجال من أشر افهم: نحن براء ممّا في هذه الصحيفة، وقال أبو جهل: هذا أمرٌ قضي بليل وخرج النّبيُّ من الشّعب ورهطه وخالطوا النّاس ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين وماتت

(١) «غير معتب» أي لا يتيسر إرضاؤه.

خديجة بعد ذلك، وورد على رسول الله ﷺ أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً ودخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه، فقال: يا عمُّ ربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً، وكفلت يتيماً، فجزاك الله عنّي خير الجزاء.

وفي كتاب دلائل النبوَّة، عن ابن عبّاس، قال: فلمّا ثقل أبو طالب رُئي يحرك شفتيه فأصغى إليه العبّاس يسمع قوله فرفع العبّاس عنه، قال: يا رسول الله قد والله قال الكلمة التي سألته إيّاها.

وفيه مرفوعاً، عن ابن عبّاس أنَّ النبيّ ﷺ عارض جنازة أبي طالب وقال: «وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عمّ».

وذكر محمّد بن إسحاق بن يسار أنَّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد وتتابعت على رسول الله المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب وكانت له وزيرة صدق على الإسلام وكان يسكن إليها.

وذكر أبو عبد الله بن مندة في كتاب المعرفة أنَّ وفاة خديجة كانت بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام. وزعم الواقديُّ أنّهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفّيت خديجة وأبو طالب وبينهما خمس وثلاثون ليلة.

في ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب وما جاء من بيعة الأنصار إياه على الإسلام وحديث العقبة

في كتاب دلائل النبوَّة عن الزهريّ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم ويكلّم كلّ شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلاّ أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أُكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالّذي أدعوه إليه، فذاك، ومن كره لم أُكرهه، إنّما أُريد أن تحرزوني ممّا يراد بي من القتل حتى أُبلغ رسالات ربّي وحتّى يقضي الله عزَّ وجلَّ لي ولمن صحبني ما شاء الله،

فلمّ يقبله أحد منهم ولم يأت أحداً من تلك القبائل إلاّ قال: قوم الرَّجل أعلم به، أترون أنَّ رجلاً صلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه[1]، فلمّا توفّي أبو طالب اشتدَّ البلاء على رسول الله ﷺ أشدَّ ما كان فعمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم،هم سادة ثقيف يومئذ وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو[2]، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه، فقال أحدهم: أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قطٌّ، وقال الآخر: أعجزٌ على الله أن يرسل غيرك، وقال الآخر: والله لا أُكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً، والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرفاً من أن أُكلّمك ولئن كنت تكذب على الله لأنت شرٌ من أن أُكلّمك، وتهزَّؤوا به وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله بين صفّيهم كان لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما بالحجارة[3] وقد كانوا عادوها حتّى أدموا رجليه، فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً، فعمد إلى حائط من حيطانهم واستظلَّ في ظلّ شجرة[4] منهم وهو مكروبٌ موجع، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلمّا رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله، فلمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عدَّاس وهو من أهل نينوا، معه عنب، فلمّا جاءه عدَّاس قال له رسول الله: من أيّ أرض أنت قال: أنا من أهل نينوا، فقال له ﷺ: من مدينة الرَّجل الصّالح يونس بن متّى؟ فقال له عدَّاس: ما يدريك من يونس بن متّى؟ فقال له رسول الله ﷺ ـ وكان لا يحقّر أحداً أن

---

(١) لفظه ـ محركة ـ أي تركه.

(٢) عبد يا ليل ـ بمثناة تحتية بعدها ألف، ثم لام مكسورة، ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام ـ (كذا مضبوط في تاريخ الخميس للديار بكري).

(٣) في النهاية الرضخ: الشدخ والكسر.

(٤) في بعض النسخ [في ظل حبلة] والحبلة ـ بالضم ـ: الكرم أو أصل من أصوله، ويحرك.

يبلّغه رسالة ربّه ـ: أنا رسول الله والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متّى، فلمّا أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس بن متّى خرَّ عدّاس ساجداً لله، وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان دماً، فلمّا بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلمّا أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمّد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلته لأحد منّا؟ قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متّى، فضحكا وقالا: لا يفتننّك من انيّتك فإنّه رجلٌ خدّاع فرجع رسول الله إلى مكّة.

قال عليُّ بن إبراهيم بن هاشم: ولمّا رجع رسول الله من الطائف وأشرف على مكّة وهو معتمر كره أن يدخل مكّة وليس له فيما مجيرٌ فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سرّاً، فقال له: ائت الأخنس بن شريف فقال له: إن محمّداً يسألك أن تجيره حتّى يطوف ويسعى فإنّه معتمر فأتاه وأدَّى إليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الأخنس: إنّي لست من قريش وإنما أنا حليف والحليف لا يجير على الصّميم وأخاف أن يخفروا جواري، فيكون ذلك مسبّة[1] فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره وكان رسول الله في شعب حرّاء مختفياً مع زيد فقال له: ائت سهيل بن عمرو فسله أن يجيرني حتّى أطوف بالبيت وأسعى، فأتاه وأدَّى إليه، فقال له: لا أفعل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذهب إلى مطعم بن عديّ فسله أن يجيرني حتّى أطوف وأسعى فجاء إليه وأخبره فقال: أين محمّداً وكونوا حول الكعبة حتّى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السّلاح وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى دخل المسجد ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمّدٌ وحده وقد مات ناصره فشأنكم به، فقال له طعيمة بن عديّ فقال: يا عمُّ لا تتكلّم فإنَّ أبا وهب

(١) رجل صميم أي خالص. والخفر: نقض العهد. والمسبة: الذي يسب الناس وفي بعض النسخ [السبة] وهي ـ بالضم ـ: العار.

قد أجار محمّداً فوقف أبو جهل على مطعم بن عديّ فقال: يا أبا وهب أمجيرٌ أم صابئ؟[1] قال: بل مجيرٌ قال: إذاً لا يخفر جوارك، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم، فقال: يا أبا وهب قد أجرت وأحسنت فردَّ عليَّ جواري قال: وما عليك أن تقيم في جواري؟ قال: أكره أن أُقيم في جوار مشرك أكثر من يوم، قال مطعم: يا معشر قريش، إنَّ محمّداً قد خرج من جواري.

قال عليٌّ بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج وكان بين الأوس والخزرج حربٌ قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السّلاح لا باللّيل ولا بالنّهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث[2] وكانت الأوس على الخزرج فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكّة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حربٌ وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم، فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم ولنا شغل لا نتفرَّغ لشيء، قال: وما شغلتكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدَّعي أنّه رسول الله سفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا وأفسد شبّاننا وفرَّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطّلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً، وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الّذين كانوا بينهم النّظير وقريظة وقينقاع أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنّكم به يا معشر العرب، فلمّا سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالسٌ في الحجر وإنّهم لا يخرجون

---

(١) يقال: صبا فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابي لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام والمقصود أنك خرجت إلى دينه أو أجرته.

(٢) يوم بعاث هو ـ بضم الباء ـ: يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج وبعاث اسم حصن للأوس وبعضهم يقول: بالغين المعجمة وهو تصحيف. (النهاية)

من شعبهم إلاّ في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمّه فإنّه ساحرٌ يسحرك بكلامه، وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشّعب، فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بدَّ لي أن أطوف بالبيت؟ فقال: ضع في أذنيك القطن، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أُذنيه من القطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم فنظر إليه نظرة فجازه، فلمّا كان في الشّوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل منّي أيكون مثل هذا الحديث بمكّة فلا أتعرّفه حتّى أرجع إلى قومي فأُخبرهم، ثمَّ أخذ القطن من أُذنيه ورمى به وقال لرسول الله: أنعم صباحاً[1] فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحيّة أهل الجنّة «السّلام عليكم» فقال له أسعد: إنَّ عهدك بهذا لقريب إلى ما تدعو يا محمّد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله وأدعوكم إلى ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فلمّا سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أنا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبالٌ مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعزَّ منك، ومعي رجلٌ من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمّم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنّا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشّرونا بمخرجك ويخبروننا

(١) هذا تحية المشركين قبل الإسلام مكان سلام عليكم.

بصفتك وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الّذي ساقني إليك والله ما جئت إلاّ لنطلب الحلف على قومنا وقد أتانا الله بأفضل ممّا أتيت له ثمَّ أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الّذي كانت اليهود تبشّرنا به وتخبرنا بصفته، فهلمّ وأسلم، فأسلم ذكوان ثمَّ قالا: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن ويدعو النّاس إلى أمرك، فقال رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن ويدعو النّاس إلى أمرك، فقال رسول الله لمصعب بن عمير وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضّلانه على أولادهم ولم يخرج من مكّة فلمّا أسلم جفاه أبواه وكان مع رسول الله في الشّعب حتّى تغيّر وأصابه الجهد فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلّم من القرآن كثيراً فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير وقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره، فأجاب من كلّ بطن الرَّجل والرَّجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة وكان يخرج في كلّ يوم ويطوف على مجالس الخزرج وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملّكوه عليهم لشرفه وسخائه وقد كانوا أتّخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها وذلك أنّه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعاث ولم يعن على الأوس وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أُعين على الظّلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلمّا قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره، فقال أسعد لمصعب: إنّ خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس وهو رجلٌ عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف فإن دخل في هذا الأمر تمَّ لنا أمرنا فهلمَّ نأتي محلّتهم، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلّة سعد بن معاذ فقعد على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأُسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أنَّ أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلّتنا مع هذا

القرشي يفسد شبّاننا فأته وانهه عن ذلك، فجاء أُسيد بن حضير[1] فنظر إليه أسعد فقال لمصعب بن عمير: إنّ هذا رجلٌ شريفٌ فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمَّ أمرنا فأصدق الله فيه[2] فلمّا قرب أُسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا ولا تفسد شبّاننا واحذر الأوس على نفسك، فقال مصعب أو تجلس فنعرض عليك أمراً فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحّينا عنك ما تكرهه، فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلّي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثمَّ خرج وعصر ثوبه، ثمَّ قال: إعرض عليَّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله، فقالها، ثمَّ أُسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الّذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب «حم تنزيلٌ من الرَّحمن الرَّحيم» فلمّا سمعها قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلّم فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلّى ركعتين ثمَّ قام وأخذ بيد مصعب وحوَّله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابنَّ أحداً، ثمَّ جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح يا بني عمرو بن عوف لا يبقينَّ رجلٌ ولا امرأة ولا بكر ولاذات بعل ولا شيخ ولا صبيٌّ إلاّ أن يخرج فليس هذا يوم ستر ولا حجاب، فلمّا اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا ولانردُّ لك أمراً فمرنا بما شئت، فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليَّ حرام تشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله والحمد لله الّذي أكرمنا بذلك وهو الّذي كانت اليهود تخبرنا به، فما بقي دارٌ من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلاّ وفيها مسلمٌ أو مسلمة وحوَّل مصعب

(١) أسيد ـ كزبير ـ ابن حضير بتقديم المهملة على المعجمة.

(٢) فأصدق الله فيه أي أبذل جهدك في هدايته لتكون صادقاً عند الله فيما تدعي.

بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية، وشاع الإسلام بالمدينة وكثر ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود، وبلغ رسول الله ﷺ أنَّ الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام وكتب إليه مصعب بذلك وكان كلٌّ من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذَّبوه، فكان رسول الله يأمرهم بالخروج إلى المدينة وكانوا يتسلّلون رجلاً فرجلاً[1] فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسوهُم، قال: فلمّا قدمت الأوس والخزرج مكّة جاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنّة؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربّك ما شئت، فقال: موعدكم العقبة في اللّيلة الوسطى من ليالي التشريق، فلمّا حجّوا إلى منى وكان فيهم ممّن قد أسلم بشرٌ كثيرٌ، وكان أكثرهم مشركين على دينهم وعبد الله بن أُبيّ فيهم فقال لهم رسول الله في اليوم الثاني من أيّام التشريق: فاحضروا دار عبد المطّلب على العقبة ولا تنّبهوا نائماً وليتسلّل واحدٌ وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطّلب وحمزة وعليٌّ والعبّاس معه فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدَّار، فلمّا اجتمعوا قال لهم رسول الله: تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنّة؟ فقال أسعد بن زراة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربّك، فقال رسول الله ﷺ: تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم، قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: الجنّة، تملكون بها العرب في الدُّنيا وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً، فقالوا: قد رضينا،فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج تعلمون على ما تقدمون عليه، إنّما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك

---

(١) انسل وتسلل: خرج في استخفاء.

الدُّنيا، فإن علمتم أنّه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تعرُّوه، فإنَّ رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عزّ ومنعة، فقال له عبد الله بن حزام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التّيهان: ما لك وللكلام يا رسول الله؟ بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك فاشترط لربّك ولنفسك ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فقالوا: اختر من شئت فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم فقال: هذا نقيبٌ وهذا نقيبٌ حتّى اختار تسعة من الخزرج وهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام وأبو جابر بن عبد الله ورافع بن مالك وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة وسعد بن الرَّبيع وعبادة بن الصامت وثلاثة من الأوس وهم أبو الهيثم بن التّيهان وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف وأُسيد بن حضير وسعد بن خيثمة، فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاح بهم إبليس يا معشر قريش والعرب هذا محمّدٌ والصباة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النّداء فقال للأنصار: تفرَّقوا، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم أُؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا، قال:

أنتظر أمر الله فجاءت قريش على بكرة أبيها[1] قد أخذوا السلاح وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا نظروا

(١) قال الجزري: وفي الحديث «جاءت هوازن على بكرة أبيها» هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وأنهم جاءوا جميعاً، لم يتخلف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت في هذا الموضع.

إلى حمزة قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا وما ههنا أحد والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلاّ ضربته بسيفي فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أُبيّ وقالوا: قد بلغنا أنَّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا فحلف لهم عبد الله أنّهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك وأنّهم لم يطلعوه على أمرهم فصدّقوه وتفرَّقت الأنصار ورجع رسول الله ﷺ إلى مكّة.

في ذكر مكر المشركين برسول الله ﷺ

واجتماعهم في دار الندوة لذلك وذكر هجرته إلى المدينة وما كان من استقبال الأنصار إيّاه ونزول ما ظهر من آيات النبوَّة وآثارها ومختصر من أخباره إلى أن أُمر بالقتال.

ثمَّ اجتمعت قريش في دار النّدوة وكانوا أربعين رجلاً من أشرافهم وكان لا يدخلها إلاّ من أتى له أربعون سنة سوى عتبة بن ربيعة فقد كان سنّه دون الأربعين فجاءهم الملعون إبليس في صورة شيخ فقال له البوّاب من أنت؟.

قال: أنا شيخ من نجد فاستأذن فستأذنوا له، وقال: بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرَّجل فجئتكم لأشير عليكم فلا يعدمكم منّي رأي صائب فلمّا أخذوا مجلسهم قال أبو جهل:

يا معشر قريش إنّه لم يكن أحدٌ من العرب أعز منّا ونحن في حرم الله وأمنه تفد إلينا العرب في السّنة مرَّتين ولم يطمع فينا طامع حتّى نشأ فينا محمّدٌ فكنّا نسمّيه الأمين لصلاحه وأمانته فزعم أنّه رسول ربّ العالمين وسبَّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبّاننا وفرَّق جماعتنا، وقد رأيت فيه رأياً وهو أن ندسّ[1] إليه رجلاً يقتله فإن طلبت بنو هاشم دمه أعطيناهم عشر ديات.

---

(١) الدس: الإخفاء والدسيس من تدسه ليأتيك بالأخبار.

فقال إبليس: هذا رأيٌ خبيث بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد على الأرض أبداً ويقع بينكم الحروب في حرمكم.

فقال آخر: الرأي أن نأخذه ونحبسه في بيت ونثبته فيه ونلقي إليه قوته حتّى يموت كما مات زهير والنابغة.

فقال إبليس: إنَّ بني هاشم لا ترضى بذلك فإذا جاء موسم العرب اجتمعوا عليكم وأخرجوه فيخدعهم بسحره.

وقال آخر: الرَّأي أن نخرجه من بلادنا ونطرده فنفرغ لآلهتنا.

فقال إبليس: هذا أخبث من الرَّأيين المتقدّمين لأنّكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً وأفصحهم لساناً وأسحرهم فتخرجوه إلى بوادي العرب فيخدعهم بسحره ولسانه فلا يفجأكم إلاّ وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً، فبقوا حيارى.

ثمَّ قالوا للملعون إبليس: فما الرّأي عندك فيه؟ قال: ما فيه إلاّ رأي واحد أن يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش رجلٌ شريفٌ ويكون معكم من بني هاشم واحد، فيأخذون حديدة أو سيفاً ويدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة، فيتفرَّق دمه في قريش كلّها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه فما بقي لهم إلاّ أن تعطوهم الدية فأعطوهم ثلاث ديات بل لو أرادوا عشر ديات، وقالوا بأجمعهم: الرَّأي رأي الشّيخ النّجدي فاختاروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب على أن يدخلوا على رسول الله فيقتلونه فأنزل الله سبحانه على رسوله ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ ﴾ ثمَّ تفرَّقوا على هذا وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتموا أمرهم، فقال أبو لهب: بل نحرسه فإذا أصبحنا دخلنا عليه، فباتوا حول حجرة رسول الله ﷺ وأمر رسول الله أن يفرش له وقال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يا عليّ افدني بنفسك، قال: نعم يا

رسول الله، قال له: نم على فراشي والتحف ببردي، فنام عليه السلام على فراش رسول الله والتحف ببرده وجاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أُخرج والقوم أشرفوا على الحجرة فيرون فراشه وعليٌّ عليه السلام نائمٌ عليه فيتوهّمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم وهو يقرأ ﴿يسٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وأخذ تراباً بكفّه ونثره عليهم وهو نيام ومضى، فقال له جبرئيل عليه السلام: يا محمّد خذ ناحية ثور وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثّور، فمرَّ رسول الله وتلقّاه أبو بكر في الطّريق فأخذ بيده ومرّ به، فلمّا انتهى إلى ثور دخل الغار فلمّا أصبحت قريش وأضاء الصّبح وثبوا في الحجرة وقصدوا الفراش فوثب عليٌّ عليه السلام إليهم وقام في وجوههم فقال لهم: ما لكم؟ ألستم قلتم له: أُخرج عنّا فقد خرج عنكم فما تريدون فأقبلوا إليه يضربونه فمنعهم أبو لهب وقالوا: أنت كنت تخدعنا منذ اللّيلة. فلمّا أصبحوا تفرَّقوا في الجبال وكان فيهم رجلٌ من خزاعة يقال له: أبو كرز يقفو الآثار فقالوا له: يا أبا كرز اليوم اليوم فما زال يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف بهم على باب الحجرة، فقال: هذه قدم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هي والله أُخت القدم الّتي في المقام وهذه قدم أبي قحافة أو ابنه، وقال: ههنا عبر ابن أبي قحافة، فلم يزل بهم حتّى وقفهم إلى باب الغار وقال لهم: ما جازوا هذا المكان إمّا أن يكونوا صعدوا السّماء أو دخلوا الأرض، وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار ـ وقد ذكرناه فيما قبل ـ قال: وجاء فارسٌ من الملائكة في صورة الإنس على باب الغار وهو يقول لهم: اطلبوه في هذه الشّعاب فليس ههنا فأقبلوا يدورون في الشّعاب وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار ثلاثة أيّام ثمّ أذن الله له في الهجرة وقال: يا محمّد أخرج عن مكّة فليس لك بها ناصرٌ بعد أبي طالب فخرج رسول الله من الغار وأقبل راع لبعض قريش يقال له:

ابن أُريقط[1] فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أُريقط أءتمنك على دمي؟ قال: إذاً أحرسك وأحفظك ولا أدلُّ عليك، فأين تريد يا محمّد؟ قال: يثرب، قال: والله لأسلكنَّ بك مسلكاً لا يهتدي إليه أحدٌ قال له رسول الله ﷺ: ائت عليّاً وبشّره بأنَّ الله قد أذن لي في الهجرة فيهيّئ لي زاداً وراحلة، وقال أبو بكر: ائت أسماء بنتي وقال لها: تهيّئ لي زاداً وراحلتين وأعلم عامر بن فهيرة أمرنا ــ وكان من موالي أبي بكر وقد كان أسلم ــ وقل له: ائتنا بالزّاد والرّاحلتين،فجاء ابن أُريقط إلى عليّ وأخبره بذلك فبعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ بزاد وراحلة وبعث ابن فُهيرة بزاد وراحلتين.

وخرج رسول الله ﷺ من الغار وأخذ به ابن أُريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطّريق إلاّ بقُديد[2] فنزلوا على أمّ معبد هناك وقد ذكرنا حديث شاة أمّ معبد والمعجزة التي ظهرت فيها فيما قبل وحديث سراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ ورسوخ قوائم فرسه في الأرض فلا وجه لإعادته، فرجع عنه سراقة فلمّا كان من الغد وافته قريش، فقالوا: يا سراقة هل لك علم بمحمّد؟ قال: قد بلغني أنّه خرج عنكم وقد نفضت هذه الناحية لكم ولم أر أحداً ولا أثراً، فارجعوا فقد كفيتكم ما ههنا، وقد كانت الأنصار بلغهم خروج رسول الله ﷺ إليهم فكانوا يتوقّعون قدومه، فكان يخرج الرّجال والنّساء إذا أصبحوا إلى طريقه فإذا اشتدّ الحرُّ رجعوا.

وروي عن ابن شهاب الزّهري قال: كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله ثلاثة أشهر وكانت بيعة الأنصار لرسول الله ليلة العقبة في ذي الحجّة وقدوم رسول الله إلى المدينة في شهر ربيع الأوّل لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم

(١) هو عبد الله بن اريقط لليثي.

(٢) قديد ـ كزبير ـ: اسم موضع قرب مكة.

الاثـنين، وكانـت الأنـصار خرجـوا يتوكّفـون أخبـاره[1] فلمّـا أيـسوا رجعـوا إلى منازلهم، فلمّا رجعوا أقبل رسول الله ﷺ فلمّا وافى ذا الحُليفة[2] سأل عـن طريـق بني عمرو بن عوف، فدلّوه فرفعه الآل[3] فنظر رجل مـن اليهـود وهـو علـى أطـم له[4] إلى ركبان ثلاثة يمرّون على طريـق بـني عمـرو بـن عـوف، فـصاح يـا معـشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى، فوقعت الـصيحة بالمدينـة فخـرج الرّجـال والنّساء والصّبيان مستبشرين لقدومه، يتعادون[5] فوافى رسول الله ﷺ وقصد مـسجد قبـا ونزل واجتمع إليه بنو عمرو بـن عـوف وسـرُّوا بـه واستبـشروا واجتمعـوا حولـه، ونزل على كلثوم بن الهدم[6] شيخ من بني عمرو صالح مكفوف البصر، واجتمعت بطـون الأوس وكـان بـين الأوس والخزرج عـداوة، فلـم يجسروا أن يـأتوا رسـول

(١) التوكف: التوقع والانتظار.

(٢) بالتصغير ـ قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، منها ميقات أهل المدينة وهي من مياه بني جشم. (المراصد)

(٣) الآل: الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب.

(٤) الأطم مثل الأجم يخفف ويثقل والجمع آطام وهي حصون لأهل المدينة.

(٥) يتعادون: يتراكضون. (الصحاح)

(٦) كلثوم بن الهدم ـ بكسرالهاء وسكون الدال ـ ابن امرء القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ـ ذكر موسى بن عقبة وغيره من أهل المغازي أن النبي ﷺ نزل عليه بقبا أول ما قدم المدينة وقال بعضهم: نزل على سعد بن خيثمة. وقال الواقدي: كان نزوله على كلثوم وكان يتحدث في بيت سعد بن خيثمة لأن منزله كان منزل العرب. وذكر الطبري وابن قتيبة أنه أول من مات من أصحاب رسول اللّه ﷺ بالمدينة ثم مات بعده أسعد بن زرارة. (الإصابة) أقول: وما ذكر في تنقيح المقال من أنه كلثوم بن هرم خطاء. وقال اليعقوبي وغيره: نزل رسول اللّه ﷺ على كلثوم بن الهدم وهو في تلك الأيام مريض فلم يلبث إلا أياماً فمات وانتقل رسول اللّه ﷺ فنزل على سعد بن خيثمة في بني عمرو بن عوف فمكث أياماً ثم كان سفهاء بني عمرو ومنافقوهم يرجمونه في الليل فلما رأى ذلك قال: ما هذا الجوار، فارتحل عنهم وركب راحلته وقال: خلوا زمامها فجعل لا يمر بحي من أحياء الأنصار إلا قالوا له: يا رسول اللّه انزل بنا.

اللهﷺ لما كان بينهم من الحروب، فأقبل رسول الله ﷺ يتصفّح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، وقد كان قدم على عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله ﷺ ناسٌ من المهاجرين، فنزلوا فيهم.

وروي أنَّ النبيّ ﷺ لّما قدم المدينة جاء النّساء والصّبيان فقلن:

طلع البدر علينا من ثنّيات الوداع وجب الشّكر علينا ما دعا لله

وكان سلمان الفارسيُّ عبداً لبعض اليهود وقد كان خرج من بلاده عن فارس يطلب الدين الحنيف الّذي كان أهل الكتب يخبرونه به فوقع إلى راهب من رهبان النّصارى بالشّام فسأله من ذلك وصحبه فقال: أطلبه بمكّة مخرجه، واطلبه بيثرب فثمَّ مهاجره، فقصد يثرب فأخذه بعض الأعراب فسبوه واشتراه رجلٌ من اليهود فكان يعمل في نخله وكان ذلك اليوم على النّخلة يصرمها[1] فدخل على صاحبه رجلٌ من اليهود، فقال: يا أبا فلان أشعرت أنَّ هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيّهم، فقال سلمان: جعلت فداك ما الّذي تقول؟ فقال له صاحبه: ما لك وللسؤال عن هذا أقبل على عملك، قال: فنزل وأخذ طبقاً وصيّر عليه من ذلك الرّطب وحمل إلى رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا قال: صدقة تمورنا بلغنا أنّكم قومٌ غرباء قدمتم هذه البلاد، فأحببت أن تأكلوا من صدقتنا، فقال رسول الله ﷺ: سمّوا وكلوا، فقال سلمان في نفسه وعقد بإصبعه: هذه واحدة ـ يقولها بالفارسيّة ـ ثمَّ أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا؟ فقال له سلمان: رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هديّة أهديتها إليك، فقال: سمّوا وكلوا وأكل عليه وآله السّلام. فعقد سلمان بيده اثنين، وقال: هذه اثنان ـ يقولها بالفارسيّة ـ ثمَّ دار خلفه فألقى رسول الله ﷺ عن كتفه الإزار فنظر سلمان إلى خاتم النبوَّة والشّامة فأقبل يقبّلها قال له رسول الله ﷺ: من أنت؟ قال: أنا

(١) صرم النخل والشجر جزه كاصطرمه. (القاموس)

رجلٌ من أهل فارس، قد خرجت من بلادي منذ كذا وكذا وحدَّثه بحديث وله طول، فأسلم وبشّره رسول الله ﷺ فقال له: أبشر واصبر فإنَّ الله سيعجّل لك فرجاً من هذا اليهوديّ فلمّا أمسى رسول الله فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار وبقي رسول الله ﷺ بقبا نازلاً على بيت كلثوم بن الهدم، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء الآخرة جاء أسعد بن زرارة مقنّعاً فسلّم على رسول الله وفرح بقدومه ثمَّ قال: يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك إلا أنَّ بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم فكرهت أن آتيهم، فلمّا أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك، فقال رسول الله ﷺ للأوس: من يجيره منكم؟ فقالوا: يا رسول الله جوارنا في جوارك فأجره، قال: لا بل يجيره بعضكم، فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: نحن نجيره يا رسول الله فأجاروه وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ فيتحدّث عنده ويصلّي خلفه، وبقي رسول الله خمسة عشر يوماً فجاء أبو بكر فقال: يا رسول الله تدخل المدينة فإنَّ القوم متشوّفون إلى نزولك عليهم، فقال: لا أريم[1] من هذا المكان حتّى يوافي أخي عليٌّ عليه السلام وكان رسول الله ﷺ قد بعث إليه أن احمل العيال وأقدم فقال أبو بكر: ما أحسب عليّاً يوافي قال: بلى ما أسرعه إن شاء الله، فبقي خمسة عشر يوماً فوافى عليٌّ عليه السلام بعياله، فلمّا وافى كان سعد بن الرّبيع وعبد الله بن رواحة يكسران أصنام الخزرج وكان كلّ رجل شريف في بيته صنم يمسحه ويطيبه ولكلّ بطن من الأوس والخزرج صنم في بيت لجماعة يكرمونه ويجعلون عليه منديلاً ويذبحون له، فلمّا قدم الاثنا عشر من الأنصار أخرجوها من بيوتهم وبيوت من أطاعهم، فلمّا قدم السبعون كثر الإسلام وفشا وجعلوا يكسرون الأصنام قال: وبقي رسول الله ﷺ بعد قدوم عليّ يوماً أو يومين ثمَّ ركب راحلته فاجتمعت

(١) التشوف: التطلع. وقوله ﷺ: «لا أريم» أي لا أبرح ولا أزول.

إليه بنو عمرو بن عوف، فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا فإنّا أهل الجدّ والجهد والحلفة والمنعة[1] فقال: فإنّها مأمورة وبلغ الأوس والخزرج خروج رسول الله ﷺ فلبسوا السّلاح وأقبلوا يعدون حوله وحول ناقته لا يمرُّ بحيّ من أحياء للأنصار إلاّ وثبوا في وجهه وأخذوا بزمام ناقته وتطلّبوا إليه أن ينزل عليهم ورسول الله يقول: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة حتّى مرَّ ببني سالم. وكان خروج رسول الله ﷺ من قبا يوم الجمعة فوافى بني سالم عند زوال الشّمس، فعرضت له بنو سالم وقالوا: هلمّ يا رسول الله إلى الجدّ والجلد والحلفة والمنعة فبركت ناقته عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول الله ﷺ ونزل في مسجدهم وصلّى بهم الظّهر وخطبهم وكان أوَّل مسجد خطب فيه رسول الله ﷺ ونزل في مسجدهم وصلّى إلى بيت المقدس وكان الّذين صلّوا معه في ذلك الوقت مائة رجل، ثمَّ ركب رسول الله ناقته فأرخى زمامها فانتهت هي إلى عبد الله بن أُبيّ، فوقف عليه وهو يقدر أنّه يعرض عليه النّزول عنده، فقال عبد الله بن أُبيّ بعد أن ثارت الغبرة[2] وأخذ كمّه ووضعه على أنفه: يا هذا اذهب إلى الذين غرُّوك وخدعوك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم ولاتغشنا في ديارنا، فسلّط الله على دور بني الحبلى الذرَّ[3] فخرب دورهم فصاروا نزولاً على غيرهم وكان جدُّ عبد الله بن أُبيّ يقال له: ابن الحبلى، فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء فإنّا كنّا اجتمعنا على أن نملّكه علينا وهو يرى الآن أنّك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فانزل عليّ يا رسول الله فإنّه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر منّي ونحن أهل الجلد والعزّ، فلا تجزنا يا رسول الله، فأرخى زمام ناقته

---

(١) الحلفة ـ بالكسر ـ: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد، وفي بعض النسخ ـ بالقاف ـ وهي بالفتح وسكون اللام: السلاح وهو أظهر.

(٢) ثار الغبار يثور ثوراناً أي سطع. (الصحاح).

(٣) الذر جمع ذرة وهي أصغر النمل. (الصحاح).

ومرَّت تخبُّ[1] به حتّى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم ولم يكن مسجداً وإنّما كان مربداً ليتيمين[2] من الخزرج يقال لهما سهل وسهيل وكانا في حجر أسعد بن زرارة،فبركت النّاقة على باب أبي أيّوب خالد بن يزيد، فنزل عنها رسول الله ﷺ فلمّا نزل اجتمع عليه النّاس وسألوه أن ينزل عليهم فوثبت أُمُّ أبي أيّوب إلى الرَّحل فحلّته وأدخلته منزلها، فلمّا أكثروا عليه قال رسول الله ﷺ: أين الرَّحل؟ فقالوا: أمُّ أبي أيّوب قد أدخلته بيتها فقال: المرء مع رحله وأخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحوَّلها إلى منزله وكان أبو أيّوب له منزل أسفل وفوق المنزل غرفة فكره أن يعلو رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي العلوُّ أحبُّ إليك أم السّفل فإنّي أكره أن أعلو فوقك، فقال: السّفل أرفق بنا لمن يأتينا، قال أبو أيّوب: فكنّا في العلوّ أنا وأُمّي إلى العلوّ خفّياً من حيث لا يعلم ولا يحسّ بنا ولا نتكلّم إلاّ خفيّاً وكان إذا نام ﷺ لا نتحرّك وربّما طبخنا في غرفتنا فنجيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله ﷺ دخان، ولقد سقطت جرَّة لنا وأهريق الماء فقامت أُمُّ أبي أيّوب إلى قطيفة ولم يكن لنا والله غيرها فألقتها على ذلك الماء تستنشف به مخافة أن يسيل على رسول الله ﷺ من ذلك شيء، وكان يحضر رسول الله ﷺ المسلمون من الأوس والخزرج والمهاجرين.

وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يبعث إليه في كلّ يوم غداء وعشاء في قصعة ثريد عليها عراق[3] فكان يأكل من جاء حتّى يشبعوا، ثمَّ تردُّ القصعة كما هي،

---

(١) قوله «أكثر فم بئر» لعله جعل كثرة الناس في فم البئر كناية عن كثرة الأضياف. والخبب ـ محركة ـ:ضرب من العدو.

(٢) في النهاية: في الحديث «أن مسجده كان مربداً ليتيمين» المربد الموضع الذي تحبس في الإبل والغنم وبه سمي مربد المدينة والبصرة وهو بكشر الميم وفتح الباء من ربد بالمكان إذا أقام فيه وربده إذا حبسه والمربد أيضاً الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف.

(٣) العراق: قطعة من اللحم.

وكان سعد بن عبادة يبعث إليه في كل يوم عشاء ويتعشّى معه من حضره [ونردُّ القصعة كما هي] وكانوا يتناوبون في بعثة العشاء والغداء إليه أسعد بن زرارة وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وسعد بن الرَّبيع وأُسيد بن حضير، قال: فطبخ له أُسيد يوماً قدراً فلم يجد من يحمله فحملها بنفسه، وكان رجلاً شريفاً من النقباء فوافى رسول الله ﷺ وقد رجع من الصلاة فقال: حملتها بنفسك؟ قال: نعم يا رسول الله لم أجد أحداً يحملها، فقال: بارك الله عليكم من أهل بيت.

وفي كتاب دلائل النبوّة عن أنس بن مالك قال: قدم رسول الله المدينة فلمّا دخلها جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إلينا يا رسول الله، فقال: دعوا الناقة فإنّها مأمورة فبركت على باب أبي أيّوب فخرجت جوار من بني النجّار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوار من بني النجّار   يا حبّذا محمّد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: أتحبّوني؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله، قال: أنا والله أحبّكم ـ ثلاث مرَّات ـ.

قال عليُّ بن إبراهيم بن هاشم: وجاءه اليهود قريظة والنضير والقينقاع فقالوا: يا محمّد إلى ما تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله الذي تجدونني مكتوباً في التوراة والذي أخبركم به علماؤكم أن مخرجي بمكّة ومهاجري بهذه الحرّة وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام، فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث في هذه الحرَّة مخرجه بمكّة ومهاجره ههنا وهو آخر الأنبياء وأفضلهم يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزئ بالكسرة، في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوّة ويضع سيفه على عاتقه لايبالي من لاقى وهو الضحوك القتال يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، فقالوا له: قد سمعنا ما تقول وقد جئناك لنطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك ولا نعين

عليك أحداً ولا تتعرَّض لنا ولا لأحد من أصحابنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك فاجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً أن لا يعينوا على رسول الله ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع[1] في السرّ والعلانية لا بليل ولا بنهار والله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله ﷺ في حلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم وكتب لكلّ قبيلة منهم كتاباً على حدة وكان الذي تولّى أمر بني النّضير حييّ بن أخطب، فلمّا رجع إلى منزله قال له إخوته جديّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك؟ قال: هو الّذي نجده في التوراة والذي يشّرنا به علماؤنا ولا أزال عدواً لأنّ النبوّة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل ولا تكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً وكان الذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد والذي تولّى أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالاً وحدائق فقال لقومه: إن كنتم تعلمون أنّه النبيُّ المبعوث فهلمُّوا نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين فلم تجبه فينقاع إلى ذلك.

قال: وكان رسول الله ﷺ يصلّي في المربد لأصحابه، فقال لأسعد بن زرارة: اشتر هذا المربد من أصحابه فساوم اليتيمين عليه فقالا: هو لرسول الله ﷺ فقال رسول الله: لا إلاّ بثمن فاشتراه بعشرة دنانير وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله فسيل[2] وأمر باللّبن فضرب، فبناه رسول الله ﷺ فحفره في الأرض ثمَّ أمر بالحجارة فنقلت من الحرَّة فكان المسلمون ينقلونها فأقبل رسول الله ﷺ يحمل حجراً على بطنه فاستقبله أُسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمله عنك قال: لا اذهب فاحمل غيره، فنقلوا الحجارة ورفعوها من الحفرة حتّى بلغ وجه الأرض بناه أوَّلاً بالسّعيدة لبنةً لبنةً، ثمَّ بناه بالسميط وهو لبنة

(١) الكراع اسم لجماعة الخيل خاصة. (مجمع البحرين)

(٢) استنقع الماء في الغدير أي اجتمع وثبت. وسال الماء سيلاً وسيلاناً جرى ومجهوله سيل.

ونصف، ثمَّ بناه بالأنثى والذكر لبنتين مخالفتين ورفع حائطه قامة وكان مؤخّره [ذراع] في مائة ثمَّ اشتدّ عليهم الحرُّ فقالوا: يا رسول الله لو أظلت عليه ظلاً، فرفع أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب، ثمَّ ظلّله وألقى عليه سعف النخل فعاشوا فيه فقالوا: يا رسول الله لو شققت سقفاً قال: لا، عريش كعريش موسى، الأمر أعجل من ذلك، وابتنى رسول الله صلى الله عليه وآله منازله ومنازل أصحابه في حول المسجد، وخطَّ لأصحابه خططاً، فبنوا فيها منازلهم، وكلٌّ شرع منه باباً إلى المسجد، وخطَّ لحمزة وشرع بابه إلى المسجد، وخطَّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مثل ما خطَّ لهم وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد إنَّ الله يأمرك أن تأمر كلَّ من كان بابه إلى المسجد يسده، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلاّ لك والعليّ ويحلُّ لعليّ فيه ما يحلُّ لك، فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: أنا عمّه يأمر بسدِّ بابي ويترك باب ابن أخي وهو أصغر منّي، فجاءه فقال: يا عمّ لا تغضبنَّ من سدّ بابك وترك باب عليّ فو الله ما أمرت أنا بذلك ولكنَّ الله أمر بسدّ أبوابكم وترك باب عليّ فقال: يا رسول الله رضيت وسلّمت لله ولرسوله.

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حيث بني منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده فخطبها أبو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنتظر أمر الله عزَّ وجل ثمَّ خطبها عمر، فقال مثل ذلك، فقيل لعليّ عليه السلام: لم لا تخطب فاطمة عليها السلام؟ قال: والله ما عندي شيء فقال له: رسول الله صلى الله عليه وآله لا يسألك شيئاً، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاستحيى أن يسأله فرجع، ثمَّ جاء في اليوم الثاني فاستحيى فرجع، ثمّ جاء في اليوم الثالث فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم يا رسول الله[1] قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هل عندك شيء يا علي؟

---

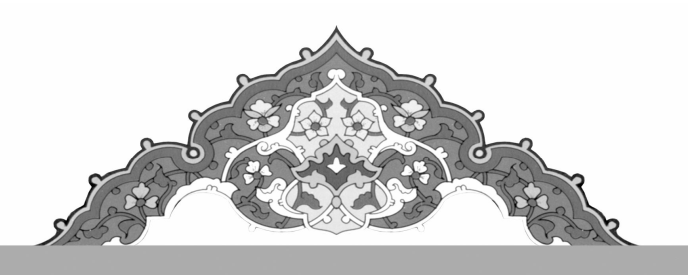
(١) في حديث ابن دأب الذي أورده المفيد في الاختصاص أنه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك أن تخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته؟ فقال عليه السلام: أنا أجتري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ←

قال: ما عندي يا رسول الله شيء إلاّ درعي، فزوَّجه رسول الله ﷺ على اثني عشرة أوقيّة ونشّ[1] وَدَفع إليه درعه فقال له رسول الله: هيّئ منزلاً حتّى تحوّل فاطمة إليه، فقال: يا رسول الله ما ههنا منزل إلاّ منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السلام تسع سنين، فقال رسول الله ﷺ: والله لقد استحيينا من حارثة، قد أخذنا عامّة منازله، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله والله ما شيء أحبُّ إليّ ممّا تأخذه والذي تأخذه أحبُّ إليّ ممّا تترك، فجزاه رسول الله خيراً، فحوَّل فاطمة عليها السلام إلى عليّ في منزل حارثة وكان فراشهما إهاب كبش جعلا صوفه تحت جنوبهما.

قال: وكان رسول الله ﷺ يصلّي إلى بيت المقدس مدَّة مقامه بمكّة وفي هجرته حتّى أتى سبعة أشهر فلمّا أتى له سبعة أشهر عيّرته اليهود وقالوا له: أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا ونحن أقدم منك في الصّلاة، فأغتمَّ رسول الله ﷺ من ذلك وأحبَّ أن يحوّل قبلته إلى الكعبة، فخرج رسول الله في جوف اللّيل ونظر إلى آفاق السّماء ينتظر أمر الله وخرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الذي جمع فيه أوَّل جمعة كانت بالمدينة وصلّى بهم الظّهر هناك بركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة ونزل عليه ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ـ الآيات ـ﴾ ثمَّ نزل على رسول الله ﷺ آية القتال وأُذن له في محاربة قريش وهي قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ـ الآية ـ﴾.

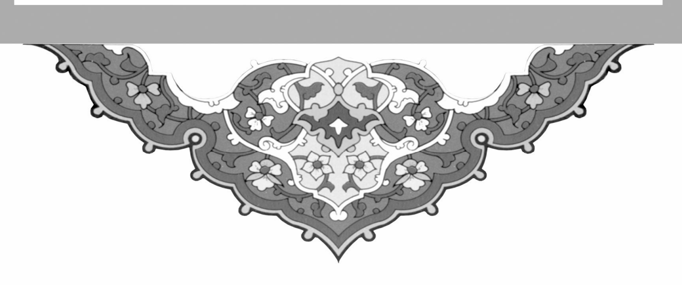
ابنته؟ والله لو كانت أمه له ما اجترأت عليه فحكى سعد بن معاذ مقالته لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله: قل له يفعل فإني سأفعل، قال: فبكى حيث قال له سعد، ثم قال: لقد سعدت إذاً أن جمع الله لي صهره وقرابته.

(١) النش نصف الأوقية وهو عشرون درهماً. (النهاية)



الباب الرابع

في ذكر مغازي رسول الله ﷺ بنفسه وسراياه ونبذ من أخباره إلى أن فارق دنياه وما ظهر في أثناء ذلك من أعلام نبوَّته ودلائل صدقه ورسالته على سبيل الإجمال والاختصار



قال أهل السّير والمفسّرون: إنَّ جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ستّ وعشرون غزوة وإنَّ جميع سراياه الّتي بعثها لم يخرج معها ستّ وثلاثون سريّة وقاتل من غزواته في تسع غزوات وهي: بدر، وأُحد، والخندق، وبني قريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطّائف.

فأوّل سريّة بعثها أنّه بعث حمزة بن عبد المطّلب في ثلاثين راكباً فساروا حتّى بلغوا سيف البحر من أرض جهينة[1] فلقوا أبا جهل بن هشام في ثلاثين ومائة راكب من المشركين فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجهني فرجع الفريقان ولم يكن بينهما قتال.

أولى غزواته صلى الله عليه وآله وسلم

ثمّ غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوّل عزوة غزاها في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة حتّى بلغ الأبواء[2]، يريد قريشاً وبني ضمرة ثمَّ رجع ولم يلق كيداً فأقام بالمدينة بقيّة صفر وصدراً من شهر ربيع الأوّل.

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث في ستّين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أحدٌ من الأنصار وكان أوّل لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتقى هو والمشركون على ماء يقال له: أحيا وكانت بينهم الرّماية وعلى المشركين أبو سفيان بن حرب.

---

(١) كذا. السيف ـ بكسر السين ـ: ساحل البحر من ناحية العيص. وفي القاموس الجهينة بلفظ التصغير قبيلة، ولكن في المراصد: قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة وبقربها عين القيارة.

(٢) الأبواء ـ بالفتح فالسكون والمد ـ: جبل بين الحرمين وعنده بلد ينسب إليه.

غزوة ربيع الآخر قبل بدر الكبرى

ثمّ غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الآخر يريد قريشاً حتّى بلغ بواط[1] ولم يلق كيداً.

غزوة العشيرة

ثمَّ غزا صلى الله عليه وآله وسلم غزوة العشيرة يريد قريشاً حتّى نزل العشيرة من بطن[2] ينبع وقام بها بقيّة جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وخلفاءهم من بني ضمرة.

فروي عن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في عزوة العشيرة، فقال لي عليّ عليه السلام: هل لك يا أبا اليقظان في هذه السّاعة من بني مدلج يعلمون في عين لهم ننظر كيف يعملون فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة ثمَّ غشينا النّوم فعمدنا إلى صور من النّخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه فوالله ما أهبّنا إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدمه[3]، فجلسنا وقد تترَّبنا من تلك الدَّقعاء فيومئذ قال لعليّ: يا أبا تراب ـ ممّا عليه من التّراب ـ فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر النّاقة والّذي يضربك يا عليّ على هذه ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على رأسه حتّى يبلَّ منها هذه ووضع يده على لحيته.

ثمّ رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العُشيرة إلى المدينة فلم يقم بها عشر ليال حتّى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طلبه حتّى

(١) «بواط» ـ كغراب ـ: جبال جهينة على أبراد من المدينة. والبريد فرسخان أو أثني عشر ميلاً.

(٢) ذو العشيرة ـ بضم العين وفتح الشين ـ موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع.

(٣) الصور ـ بالفتح ـ: الجماعة من النخل ولا واحد له من لفظه. والدقعاء: التراب والأرض لا نبات بها. وقوله: «ما أهبنا» أي ما أيقظنا.

بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر وهي غزوة بدر الأولى وحامل لوائه عليّ بن أبي طالب واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وفاته كرز فلم يدركه، فرجع رسول الله ﷺ وأقام جمادى ورجب وشعبان وكان بعث بين ذلك سعد بن أبي وقّاص في ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيداً ثمَّ بعث رسول الله عبد الله بن جحش إلى نخلة وقال: كن بها حتّى تأتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال وذلك في الشّهر الحرام وكتب له كتاباً وقال: أُخرج أنت وأصحابك حتّى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر ما فيه وامض لما أمرتك، فلمّا سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه أن امض حتّى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعاً وطاعة من كان له رغبة في الشّهادة فلينطلق معي، فمضى معه القوم حتّى نزلوا النّخلة فمرَّ بهم عمرو بن الحضرميّ والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله، معهم تجارة قدموا بها من الطّائف أُدم وزبيب فلمّا رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله وكان قد حلق رأسه فقالوا: عمّار ليس عليكم منهم بأس وائتمر أصحاب رسول الله وهي آخر يوم من رجب فقالوا: لئن قتلتموهم إنّكم لتقتلونهم في الشّهر الحرام ولئن تركتموهم ليدخلنَّ هذه اللّيلة مكّة فليمنعنَّ منكم، فأجمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبد الله التّميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأمن عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب المغيرة فأعجزهم واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ فقال لهم: والله ما أمرتكم بالقتال في الشّهر الحرام وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً وأُسقط في أيدي القوم[1] وظنّوا أنّهم قد هلكوا وقالت قريش: استحلَّ محمّدٌ الشّهر الحرام فأنزل الله سبحانه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ

(١) أسقط في يديه ـ على بناء المجهول ـ أي ندم.

قِتَالٍ فِيهِ ـ الآية﴾ فلمّا نزل ذلك أخذ رسول الله ﷺ المال وفداء الأسيرين وقال المسلمون: نطمع لنا أن يكون غزاة[1] فأنزل الله فيهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ـ إلى قوله ـ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ ـ الآية ـ﴾ وكانت هذه قبل بدر بشهرين.

غزوة بدر الكبرى

ثمّ كانت غزوة بدر الكبرى وذلك أنَّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكباً من قريش تجّاراً قافلين من الشّام فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب ونيّف وأكثر أصحابه مشاة، معهم ثمانون بعيراً وفرس يقال إنّه للمقداد يعتقب النفر على البعير الواحد وكان بين رسول الله وبين مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير وذلك في شهر رمضان. فلمّا خرج من المدينة وبلغ أبا سفيان الخبر أخذ بالعير على السّاحل إلى مكّة يستصرخ بهم فخرج منهم نحو من ألف رجل من سائر بطون قريش ومعهم مائتا فرس يقودونها وخرجوا معهم بالقيان يضربن بالدُّفوف ويتغنّين بهجاء المسلمين ورجع الأخنس بن شريق الثّقفي ببني زهرة من الطّريق وكان حليفاً لهم فبقي منهم نحو من تسعمائة وتسعين رجلاً وفيهم العبّاس وعقيل ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وخرجوا مكرهين وكانت أشرافهم المطعمون فيهم العبّاس بن عبد المطّلب وعتبة بن ربيعة وطعيمة بن عديّ وأبو البختري بن هشام وأُميّة بن خلف وحكيم بن حزام والنّضر بن الحارث بن كلدة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو.

---

(١) قالوا ذلك على سبيل اليأس أي لا نطمع ثواب الغزوة فيما فعلنا بل نرضى ألا يكون لنا وزر فرجاهم سبحانه رحمته بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ كما قال البيضاوي: نزلت الآية في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر (قاله المجلسي في البحار).

فلما بلغ النّبيُّ ﷺ إلى بدر وهي بئر منسوبة إلى رجل من غفار يقال له: بدر وقد علم رسول الله بفوات العير ومجيء قريش شاور أصحابه في لقائهم أو الرُّجوع، فقالوا: الأمر إليك والقَ بنا القوم فلقيهم على بدر لسبع عشرة من رمضان وكان لواء رسول الله يومئذ أبيض مع مصعب بن عمير ورايته مع عليّ عليه السلام وأمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة وكثّر الله المسلمين في أعين الكفّار وقلّل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا وأخذ رسول الله كفّاً من تراب ورماه إليهم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق منهم أحدٌ إلاّ اشتغل بفرك عينيه وقتل الله من المشركين نحو سبعين رجلاً وأُسر نحو سبعين رجلاً منهم العبّاس بن عبد المطّلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فاسلوا وعقبة بن أبي معيط والنّضر بن الحارث قتلهما رسول الله بالصفراء وقال للعبّاس: افد نفسك وابنيْ أخويك عقيلاً ونوفلاً وحليفك عتبة بن عمرو وأخا بني الحارث بن فهر فإنّك ذو مال، فقال: إنّي كنت مسلماً وإنَّ القوم استكرهوني فقال: الله أعلم بإسلامك إن يكن حقّاً فإنَّ الله يجزيك به فأمّا ظاهر أمرك فقد كان علينا، قال: فليس لي مالٌ قال: فأين المال الّذي وضعته عند أُمّ الفضل بمكّة وليس معكما أحدٌ غيري وغير أُمّ الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم منّي من مال كان معي عشرون أوقيّة وفدى كلّ واحد بأربعين أوقيّة.

وقتل عليٌّ عليه السلام ببدر من المشركين الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان شجاعاً فاتكاً[1] والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة والد سعيد بن العاص، وطعيمة بن عديّ بن نوفل شجره بالرّمح[2] وقال: والله لا يخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً، ونوفل بن خويلد وهو الّذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بحبل وعذّبهما يوماً

(١) الفاتك: الجريء. (الصحاح)

(٢) شجره أي طعنه.

إلى اللّيل وهو عمُّ الزُّبير بن العوَّام ولّما أجلت الواقعة قام النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال: «الحمد لله الّذي أجاب دعوتي فيه».

وروى جابر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد تعجّبت يوم بدر من جرأة القوم وقد قتلت الوليد بن عتبة إذ أقبل إليَّ حنظلة بن أبي سفيان فلمّا دنى منّي ضربته بالسّيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً، وقتل من معه وهم زمعة بن الأسود والحارث بن زمعة وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمُّ طلحة بن عبيد الله وعثمان ومالكاً أخوي طلحة وهم في ستّة وثلاثين رجلاً.

وقتل حمزة بن عبد المطّلب شيبة بن ربيعة بن عبد شمس والأسود بن عبد الأسود المخزوميّ.

وقتل عمرو بن الجموح أبا جهل بن هشام ضربه بالسيف على رجله فقطعها ووقف عليه عبد الله بن مسعود فذبحه بسيفه من قفاه وحمل رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عبد الله: وجدته بآخر رمق فعرفته ووضعت رجلي على مذمّره ـ أي عنقه ـ وقلت: هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: رويعي الغنم! لقد ارتقيت مرتقىً صعباً. قال: ثمّ اجتززت رأسه فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: هذا رأس عدوّ الله أبي جهل، فحمد الله. فقتل عمّار بن ياسر أُميّة بن خلف. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تلقى القتلى في قليب بدر ثمَّ وقف عليهم وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم واحداً واحداً، ثمَّ قال: قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً، ثمّ قال: إنّهم ليسمعون كما تسمعون ولكن منعوا من الجواب.

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً منهم عبيدة بن الحارث بن بعد المطّلب وذو الشّمالين عمرو بن نضلة حليف بني زهرة ومهجع مولى عمر[1]

(١) مهجع ـ كمنبر ـ مولى عمر بن الخطاب وقد رمي بسهم في ذلك اليوم فقتل وهو أول قتيل من المسلمين.

وعمير بن أبي وقّاص وصفوان بن أبي البيضاء هؤلاء من المهاجرين والباقون من الأنصار.

ولّما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من بدر لم يقم بالمدينة إلاّ سبع ليال حتّى غزا بنفسه يريد بني سليم حتّى بلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر فأقام عليه ثلاث ليال.

ثمّ رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة وفادى في إقامته جلّ أُسارى بدر من قريش.

ثمَّ كانت غزوة السّويق وذلك أنَّ أبا سفيان نذر أن لا يمسّ رأسه من جنابة حتّى المدينة أتى بني النّضير ليلاً فضرب على حييّ بن يمينه[1] حتّى إذا كان على بريد من المدينة أتى بني النّضير ليلاً فضرب على حييّ بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيّد بني النّضير فاستأذن عليه فأذن له وسارّه ثمَّ خرج في عقب ليلته حتّى أتى أصحابه وبعث رجلاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية يقال لها: العريض فوجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما، ثمّ انصرفوا ونذر بهم النّاس فخرج رسول الله في طلبهم حتّى بلغ قرقرة الكدر[2]، ورجع وقد فاته أبو سفيان ورأوا زاداً من أزواد القوم قد طرحوها يتخفّفون منها للنجاة فقال المسلمون حين رجع رسول الله ﷺ بهم: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة فقال عليه السلام: نعم.

---

(١) بر فلان في يمينه أي صدق.

(٢) بفتح القافين: أرض ملساء وقال البكري: هي بضم القاف وإسكان الراء وبعدهما مثلهما والمعروف في ضبطها الفتح وهي ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة كذا في حياة الحيوان وفي «المواهب اللدنية» الكدر: طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع، وفي «خلاصة الوفاء» كدر ـ بالضم ـ جمع أكدر يضاف إليه قرقرة الكدر بناحية معدن سليم وراء سد معاوية. (تاريخ الخميس).

غزوة ذي أمرّ

ثم كانت عزوة ذي أمرّ بعد مقامه بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرَّم، مرجعه من غزوة السويق وذلك لمّا بلغه أنَّ جمعاً من غطفان قد تجمّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة عليهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب فخرج في أربع مائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس وهرب منه الأعراب فوق ذُرى الجبال ونزل صلى الله عليه وآله وسلم ذا أمرّ[1] وعسكر به وأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاجة فأصابه ذلك المطر فبلَّ ثوبه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادي أمرّ بينه وبين أصحابه ثمَّ نزع ثيابه فنشرها لتجفَّ وألقاها على شجرة ثمَّ اضطجع تحتها والأعراب يظرون إلى كلّ ما يفعل رسول الله فقالت الأعراب لدعثور ـ وكان سيدهم وأشجعهم ـ: قد أمكنك محمّد وقد انفرد من بين أصحابه حيث إن غوَّث بأصحابه لم يغث حتّى تقتله. فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ثمّ أقبل مشتملاً على السيف حتّى قام على رأس رسول الله بالسيف مشهوراً فقال: يا محمّد من يمنعك منّي اليوم؟ قال: الله ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله وقام على رأسه وقال: من يمنعك منّي قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، والله لا أُكثّر عليك جمعاً أبداً فأعطاه رسول الله سيفه ثمّ أدبر، ثمَّ أقبل بوجهه ثمّ قال: والله لأنت خير منّي قال رسول الله: أنا أحقُّ بذلك، فأتى قومه فقيل له: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: وقد كان والله ذلك ولكنّي نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنّه ملك وشهدت أنّ محمّداً رسول الله والله لا أُكثّر عليه وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾.

---

(١) الذرى جمع ذروة ـ بكسر الذال ـ وهو أعلى كل شيء. و« أمر» بفتح الهمزة والميم وشد الراء.

غزوة القردة

ثم كانت غزوة القردة ماء من مياه نجد[1] بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بعد رجوعه من بدر إلى المدينة بستّة أشهر فأصابوا عيراً لقريش على القدرة فيها أبو سفيان ومعه فضّة كثيرة، وذلك أنَّ قريشاً قد خافت طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر فسلكوا طريق العراق واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيّان، يدُلهم على الطريق، فأصاب زيد بن حارثة تلك العير وأعجزته الرّجال هرباً.

وفي رواية الواقدي أنَّ ذلك العير مع صفوان بن أُميّة وأنّهم قدموا بالعير إلى رسول الله ﷺ وأسروا رجلاً أو رجلين وكان فرات بن حيّان أسيراً فأسلم فترك من القتل.

غزوة بني قينقاع

ثم كانت غزوة بني قينقاع[2] يوم السبت لنصف من شوّال على رأس عشرين شهراً من الهجرة وذلك أنَّ رسول الله جمعهم وأتى سوق بني قينقاع فقال لليهود: احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من قوارع الله فأسلموا فإنكم قد عرفتم نعتي وصفتي في كتابكم، فقالوا: يا محمّد لا يغرّنّك أنّك لقيت قومك فأصبت فيهم فإنّا والله لو حاربناك لعلمت أنّا خلافهم فكادت تقع بينهم المشاجرة ونزلت فيهم ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ـ إلى قوله ـ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.

وروى أنّ رسول الله ﷺ حاصرهم ستّة أيّام حتّى نزلوا على حكمه، فقام عبد الله بن أُبيّ فقال: يا رسول الله مواليّ وحلفائي وقد منعوني من الأسود

---

(١) قردة ـ كشجرة ـ وقيل: بالفاء وكسر الراء. كذا في تاريخ الخميس.

(٢) قينقاع ـ بفتح القاف وتثليث النون ـ: شعب من اليهود كانوا بالمدينة. (القاموس)

والأحمر ثلاثمائة دارع وأربعمائة حاسر تحصدهم في غداة واحدة، إنّي والله لا آمن وأخشى الدّوائر، وكانوا حلفاء الخزرج دون الأوس، فلم يزل يطلب فيهم حتّى وهبهم له، فلمّا رأوا ما نزل بهم من الذلّ خرجوا من المدينة ونزلوا أذرعات[1] ونزلت في عبد الله بن أُبيّ وناس من الخزرج ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ ـ إلى قوله ـ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾.

غزوة أحد

ثم كانت غزوة أُحد على رأس سنة من بدر ورئيس المشركين يومئذ أبو سفيان بن حرب وكان أصحاب رسول الله يومئذ سبعمائة والمشركون ألفين وخرج رسول الله ﷺ بعد أن استشار أصحابه وكان رأيه عليه السلام أن يقاتل الرّجال على أفواه السكك ويرمي الضعفاء من فوق البيوت فأبوا إلاّ الخروج إليهم، فلمّا صار على الطّريق قالوا: نرجع، قال: ما كان لنبيّ إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم، وكانوا ألف رجل، فلمّا كانوا في بعض الطّريق انخذل عنهم عبد الله بن أُبيّ بثلث النّاس وقالوا: والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا والقوم قومه، وهمّت بنو حارثة وبنو سلمة بالرُّجوع، ثمَّ عصمهم الله عزَّ وجلَّ وهو قوله: ﴿**إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا** ـ الآية ـ﴾ وأصبح رسول الله ﷺ متهيّئاً للقتال وجعل على راية المهاجرين عليّاً عليه السلام وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله ﷺ في راية الأنصار، ثمّ مرّ ﷺ على الرّماة وكانوا خمسين رجلاً وعليهم عبد الله بن جبير فوعظهم وذكّرهم وقال: اتّقوا الله واصبروا وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتّى أُرسل إليكم، وأقامهم عند رأس الشّعب وكانت الهزيمة

(١) الأذرعات ـ بكسر الراء ـ موضع بالشام. (المجمع).

على المشركين وحسّهم المسلمون بالسّيوف حسّاً[1] فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله: أنسيتم قول رسول الله ﷺ أمّا أنا فلا أبرح موقفي الّذي عهد إليّ فيه رسول الله ما عهد، فتركوا أمره وعصوه بعد ما رأوا ما يحبّون وأقبلوا على الغنائم، فخرج كمين المشركين عليهم خالد بن الوليد فانتهى إلى عبد الله بن جبير فقتله، ثمّ أتى النّاس من أدبارهم ووُضع في المسلمين السّلاح فانهزموا وصاح إبليس ـ لعنه الله ـ: قُتل محمّد، ورسول الله ﷺ يدعوهم في أُخراهم: أيّها النّاس أنا رسول الله وإنَّ الله قد وعدني النّصر فإلى أين الفرار؟ فيسمعون الصّوت ولا يلوون على شيء وذهبت صيحة إبليس حتّى دخلت بيوت المدينة فصاحت فاطمة عليها السلام ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلاّ وضعت يدها على رأسها وخرجت فاطمة تصرخ.

قال الصّادق عليه السلام: انهزم النّاس عن رسول الله فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللّؤلؤ من العرق فنظر فإذا عليٌّ عليه السلام إلى جنبه فقال: ما لك لم تلحق ببني أبيك؟ فقال عليٌّ يا رسول الله أكفر بعد الإسلام إنَّ لي بك أُسوة، فقال: أمّا لا فاكفني هؤلاء، فحمل عليٌّ عليه السلام فضرب أوَّل من لقي منهم، فقال جبرئيل: إنَّ هذه لهي المؤاساة يا محمّد، قال: إنّه منّي وأنا منه، قال جبرئيل: وأنا منكما.

وثاب إلى رسول الله جماعة[2] من أصحابه وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطّلب وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان بن الشريد والباقون من الأنصار.

---

(١) قال الفيومي: حسه حساً فهو حسيس مثل قتله قتلاً فهو قتيل وزناً ومعنى.

(٢) ثاب يثوب ثوباً وثوباناً: عاد، والناس: اجتمعوا.

قال: وأقبل يومئذ أُبيّ بن خلف وهو على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة بؤ بذنبك[1] لا نجوت إن نجوت ورسول الله ﷺ بين الحارث بن الصمّة وسهل بن حنيف يعتمد عليهما، فحمل عليه فوقاه مصعب بن عمير بنفسه فطعن مصعباً فقتله، فأخذ رسول الله ﷺ عنزة كانت في يد سهل بن حنيف ثمَّ طعن أُبيّاً في جربّان الدّرع[2] فاعتنق فرسه فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثّور[3] فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك إنّما هو خدش ليس بشيء، فقال: ويلك يا ابن حرب أتدري من طعنني إنّما طعنني محمّد وهو قال لي بمكّة: إنّي سأقتلك، فعلمت أنّه قاتلي والله لو أنَّ ما بي كان بجميع أهل الحجاز لقضت عليهم[4]، فلم يزل يخور الملعون حتّى صار إلى النّار.

وفي كتاب أبان بن عثمان أنّه لّما انتهت فاطمة وصفيّة إلى رسول الله ﷺ ونظرتا إليه قال ﷺ لعليّ: أمّا عمّتي فاحبسها عنّي وأمّا فاطمة فدعها، فلمّا دنت فاطمة من رسول الله ﷺ ورأته قد شجّ في وجهه وأُدمي فوه إدماء صاحت وجعلت تمسح الدَّم وتقول: اشتدَّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله، وكان يتناول رسول الله ﷺ ما يسيل من الدّم ويرمي به في الهواء فلا يتراجع منه شيء.

قال الصّادق عليه السلام: والله لو نزل منه شيء على الأرض لنزل العذاب.

قال أبان بن عثمان حدَّثني بذلك عنه الصباح بن سيابة قال: قلت: كسرت رباعيّته كما يقوله هؤلاء؟ قال: لا والله ما قبضه الله إلاّ سليماً ولكنّه شجّ في

(١) «بؤ بذنبك» أي اعترف وارجع.

(٢) الجربان ـ بضم الجيم والراء أو كسرهما وشد الباء الموحدة من تحت ـ من السيف: غمده، ومن القميص: طوقه.

(٣) الخوار ـ بالضم ـ: صوت البقر ويطلق أيضاً على صوت الغنم والظباء والسهام.

(٤) قضى عليه أي قتله والتأنيث باعتبار الضربة أو الجراحة.

وجهه، قلت: فالغار في أُحد الذي يزعمون أنَّ رسول الله صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه، وقيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللّهمَّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون ورمى رسول الله ﷺ ابن قُميئة بقذّافة فأصاب كفّه حتّى ندر السّيف من يده[1] وقال: خذها منّي وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ: أذلّك الله وأقمأك[2] وضربه عتبة بن أبي وقّاص بالسّيف حتّى أدمى فاه، ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه[3].

وليس أحد من هؤلاء مات ميتة سويّة فأمّا ابن قميئة فأتاه تيس وهو نائم بنجد فوضع قرنه في مراقّه فدعسه[4] فجعل ينادي وا ذلاّه حتّى أخرج قرنيه من ترقوته وكان وحشيّ يقول: قال لي جبير بن مطعم وكنت عبداً له: إنَّ عليّاً قتل عمّي يوم بدر ـ يعني طعيمة ـ فإن قتلت محمّداً فأنت حرٌّ وإن قتلت عمَّ محمّد فأنت حرّ وإن قتلت ابن عمّ محمّد فأنت حرٌّ فخرجت بحربة لي مع قريش إلى أُحد أُريد العتق لا أُريد غيره ولا أطمع في محمّد وقلت: لعلّي أُصيب من عليّ أو حمزة غرَّة فأزرقه وكنت لا أخطئ في رمي الحراب تعلّمته من الحبشة في أرضها وكان حمزة يحمل حملاته ثمَّ يرجع إلى موقفه.

قال أبو عبد الله عليه السلام وزرقه[5] وحشيّ فوق الثّدي فسقط وشدُّوا عليه فقتلوه فأخذ وحشيّ الكبد فشدَّ بها إلى هند بنت عتبة فأخذتها وطرحتها فيها فصارت مثل الدّاغصة فلفظتها.

---

(١) القذافة ـ بكسر القاف ـ: كل ما يرمى به، وـ بالفتح والتشديد ـ: الذي يرمى به فيبعد وندر السيف من يده أي سقط.

(٢) أقمأ الرجل: أذله وصغره.

(٣) القلاعة ـ بالضم ـ: الحجر أو المدر يقتلع من الأرض فيرمى به.

(٤) المراق ـ بتشديد القاف ـ: ما رق من أسفل البطن ولان. والدعس: الطعن.

(٥) زرقه به أي رماه به.

قال: وكان الحليس بن علقمة نظر إلى أبي سفيان وهو على فرس وبيده رمح يجاء به في شدق حمزة[١] فقال: يا معشر بني كنانة انظروا إلى من يزعم أنّه سيّد قريش ما يصنع بابن عمّه الذي صار لحماً وأبو سفيان يقول: ذقُ عقق فقال أبو سفيان[٢]: صدقت إنّما كانت منّي زلّة اكتمها عليَّ، قال: وقام أبو سفيان فنادى بعض المسلمين أحيٌّ ابن أبي كبشة؟ فأمّا ابن أبي طالب فقد رأيناه مكانه، فقال عليٌّ عليه السلام: إي والّذي بعثه بالحقّ إنّه ليسمع كلامك، قال: إنّه قد كانت في قتالكم مثلة والله ما أمرت ولا نهيت إنَّ ميعادنا بيننا وبينكم موسم بدر في قابل هذا الشّهر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل: نعم، فقال: نعم فقال أبو سفيان لعليّ عليه السلام: إنّ ابن قميئة أخبرني أنّه قتل محمّداً وأنت أصدق عندي وأبرُّ ثمَّ ولّى إلى أصحابه وقال: اتخذوا اللّيل جملاً[٣] وانصرفوا.

ثمَّ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام فقال: اتّبعهم فانظر إلى أين يريدون فإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنّهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الإبل وساقوا الخيل فهم متوجّهون إلى مكّة.

وقيل: إنّه بعث لذلك سعد بن أبي وقّاص فرجع فقال: فرأيت خيولهم تضرب بأذنابها مجنونة مدبرة ورأيت القوم قد تجمّلوا سائرين[٤] فطابت أنفس المسلمين بذهاب العدوّ فانتشروا يتتبّعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلاّ وقد مثّلوا به

(١) قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ: قوله «يجاء به» هو من قولهم وجأه بالسكين ـ كوضعه ـ أي ضربه انتهى. وهو خلاف القياس.

(٢) قال الجزري: في الحديث: «أن أبا سفيان مر بحمزة قتيلاً فقال له: ذق عقق» أراد ذق القتل يا عاق قومه كما قتلت يوم بدر من قومك ـ يعني كفار قريش ـ وعقق منقول من عاق للمبالغة ـ كغدر من غادر ـ وفسق من فاسق.

(٣) إذا سرى الرجل ليلته جمعاء أو أحياها للصلاة أو غيرها من العبادات يقال له: اتخذ الليل جملاً كأنه ركبه ولم ينم فيه. (النهاية).

(٤) تجملوا أي ركبوا الجمل.

إلاّ حنظلة بن أبي عامر كان أبوه مع المشركين فترك له، ووجدوا حمزة قد شقّ بطنه وجدع أنفه وقطعت أذناه وأُخذ كبده فلمّا انتهى إليه رسول الله ﷺ خنقته العبرة وقال: لأُمثّلنَّ بسبعين من قريش، فأنزل الله سبحانه ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ـ الآية ـ﴾ فقال ﷺ: بل أصبر وقال: من ذلك الرّجل الذي تغسّله الملائكة في سفح الجبل؟ فسألوا امرأته فقالت: إنّه خرج وهو جنب وهو حنظلة بن أبي عامر الغسيل.

قال أبان: وحدَّثني أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر لرسول الله رجلٌ من أصحابه يقال له: قزمان[1] بحسن معونته لإخوانه وذكره فقال ﷺ: إنّه من أهل النار فأُتي رسول الله ﷺ وقيل: إنَّ قزمان استشهد فقال: يفعل الله ما يشاء ثمَّ أُتي رسول الله ﷺ وقيل: إنَّ قزمان استشهد فقال: يفعل الله ما يشاء ثمّ أُتي فقيل: إنّه قتل نفسه فقال: أشهد أنّي رسول الله، قال: وكان قزمان قاتل قتالاً شديداً وقتل من المشركين ستّة أو سبعة فأثبتته الجراح فاحتمل إلى دور بني ظفر فقال له المسلمون: أبشر يا قزمان فقد أبليت[2] اليوم، فقال: بم تبشّروني فوالله ما قاتلت إلاّ عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قتلت فلمّا اشتدَّت عليه الجراحة جاء إلى كنانته فأخذ منها مشقصاً[3] فقتل به نفسه.

قال: وكانت امرأة من بني النجّار قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله ﷺ فدنت من رسول الله والمسلمون قيام على رأسه فقالت لرجل: أحيٌّ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالت: أستطيع أن أنظر إليه؟ قال: نعم، فأوسعوا

(١) قزمان ـ بالضم ـ ابن الحارث العبسي، المنافق الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». (القاموس)

(٢) الإبلاء: الإنعام والإحسان.

(٣) المشقص ـ بكسر الميم ـ: سهم فيه نصل عريض. (المصباح)

لها فدنت منه وقالت: كلٌّ مصيبة جلل[1] بعدك ثمَّ انصرفت، قال: وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة حين دفن القتلى فمرَّ بدور بني الأشهل وبني ظفر فسمع بكاء النّوائح على قتلاهنَّ فترقرقت عينا رسول الله ﷺ وبكى ثمَّ قال: لكنَّ حمزة لا بواكي له اليوم فلمّا سمعها سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير قالوا: لا تبكينَّ امرأة حميمها حتّى تأتي فاطمة فتسعدهما فلمّا سمع رسول الله ﷺ الواعية على حمزة عند فاطمة على باب المسجد قال: ارجعن رحمكنَّ الله فقد آسيتنَّ بأنفسكنَّ.

غزوة حمراء الأسد

ثم كانت غزوة حمراء الأسد[2] قال أبان بن عثمان: لمّا كان من الغد من يوم أُحد نادى رسول الله ﷺ في المسلمين فأجابوه فخرجوا على علّتهم وعلى ما أصابهم من القرح وقدم عليّاً بين يديه براية المهاجرين حتّى انتهى إلى حمراء الأسد ثمَّ رجع إلى المدينة وهم الّذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح. وخرج أبو سفيان حتّى انتهى إلى الروحاء فأقام بها وهو يهمُّ بالرجعة على رسول الله ﷺ ويقول: قد قتلنا صناديد القوم فلو رجعنا استأصلناهم، فلقي معبد الخزاعيّ فقال: ما وراءك يا معبد؟ قال: قد والله تركت محمّداً وأصحابه وهم يحرقون عليكم، وهذا عليٌّ بن أبي طالب قد أقبل على مقدَّمته في النّاس وقد اجتمع عليه من كان تخلّف عنه، وقد عاني ذلك إلى أن قلت شعراً، قال أبو سفيان: وماذا قلت؟ قال: قلت:

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأُسد كرام لا تنابلة عند اللّقاء ولا خرق معازيل

(١) الجلل ـ بالتحريك ـ: الأمر العظيم والهين وهو من الأضداد والمراد هنا الثاني أي كل مصيبة هينة سهلة بعد سلامتك وبقائك.

(٢) قال في القاموس: حمراء الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة.

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ثمَّ مرَّ به مركب من عبد القيس يريدون الميرة من المدينة، فقال لهم: أبلغوا محمّداً أنّي قد أردت الرَّجعة إلى أصحابه لأستأصلهم وأوقر لكم ركابكم زبيباً إذا وافيتم عكاظ، فأبلغوا ذلك إليه وهو بحمراء الأسد. فقال والمسلمون معه: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الجمعة، قال: ولمّا غزا رسول الله ﷺ حمراء الأسد وثبت فاسقة من بني خطمة يقال لها: العصماء أُمُّ المنذر بن المنذر تمشي في مجالس الأوس والخزرج وتقول شعراً تحرض على النّبيّ وليس في بني خطمة يومئذ مسلم إلاّ واحدٌ يقال له: عمير بن عديّ، فلمّا رجع رسول الله ﷺ غدا عليها عمير فقتلها، ثمَّ أتى رسول الله ﷺ فقال: إنّي قتلت أمَّ المنذر لما قالته من هجو، فضرب رسول الله ﷺ كتفيه وقال: هذا رجل نصر الله ورسوله بالغيب أما إنّه لا ينتطح فيها[1] غنزان، قال عمير بن عديّ: فأصبحت فمررت ببيتها وهم يدفنونها فلم يعرض إليّ أحد منهم ولم يكلّمني.

غزوة الرجيع

ثمّ كانت عزوة الرَّجيع بعث رسول الله مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة، وخالد بن بكير، وعاصم بن ثابت بن الأفلج، وخبيب بن عدي، وزيد بن دثنة[2]، وعبد الله بن طارق، وأمير القوم مرثد لمّا قدم عليه رهطٌ من عضل والدّيش وقالوا: ابعث معنا نفراً من قومك يعلّموننا القرآن ويفقّهوننا في الدّين فخرجوا مع القوم إلى بطن الرّجيع وهو ماء لهذيل فقتلهم حيٌّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان وأُصيبوا جميعاً.

---

(١) لا ينتطح فيها عنزان أي يذهب هدراً لا ينازع في دمها رجلان ضعيفان أيضاً لأن النطاح من شأن التيوس والكباش.

(٢) مرثد ـ كمسكن ـ وخبيب ـ كزبير ـ والدثنة ـ ككلمة ـ.

وذكر أبان أنَّ هذيلاً حين قتلت عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وقد كانت نذرت حين أُصيب ابناها بأُحد لئن قدرت على رأسه التشربنَّ في قحفه الخمر فمنعتهم الدّبر[1]، فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتّى نمسي فتذهب عنه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به وقد اكن عاصم أعطى الله عهداً أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسّه مشرك أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته ممّا امتنع منه في حياته.

غزوة معونة

ثمَّ كانت غزوة معونة على رأس أربعة أشهر من أُحد وذلك أنَّ أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة قدم على رسول الله بالمدينة فعرض عليه الإسلام فأسلم وقال: يا محمّد إن بعثت رجالاً إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال: أخشى عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا لهم جار فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في بضعة وعشرين رجلاً وقيل: في أربعين رجلاً وقيل: في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمّة وحرام بن ملحان وعامر بن فهيرة[2] فساروا حتّى نزلوا بئر معونة وهي بين أرضي بني عامر وحرَّة من بني سليم، فلمّا نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطّفيل، فلمّا أتاه لم ينظر [عامر] في كتابه حتّى عدا على الرَّجل فقتله فقال: الله أكبر فزت وربّ الكعبة، ثمَّ دعا بني عامر إلى قتالهم فأبوا أن يجيبوه وقالوا: لا نخفر أبا براء[3] فاستصرخ قبائل من بني سليم عصيّة ورعلاً

(١) القحف ـ بكسر القاف وسكون الحاء ـ: العظم الذي فوق الدماغ. أو ما انفلق من الجمجمة فانفصل. والدبر ـ بالفتح ـ: جماعة النحل.

(٢) في المجمع عامر بن فهيرة هو مولى أبي بكر.

(٣) الخفر ـ نقض العهد.

وذكوان[1] وهم الّذين قنت عليهم النبيّ ولعنهم فأجابوه وأحاطوا بالقوم في رحالهم فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم وقاتلوا القوم حتّى قتلوا عن آخرهم وكان في سرح القوم [2] عمرو بن أُميّة الضّمري ورجل من الأنصار فلم يكن بينهما بمصاب القوم إلاّ الطّير تحوم على العسكر، فقالا: والله إنّ لهذا الطّير لشأناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم، فقال الأنصاري لعمرو: ما ترى قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكنّي لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن فيه المنذر بن عمرو قتل فقاتل القوم حتّى قتل ورجع عمرو إلى المدينة فأخبر رسول الله ﷺ فقال: هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً، فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفار عامر إيّاه وما أصاب من أصحاب رسول الله ﷺ ونزل عليه الموت فحمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطّفيل وطعنه وهو في نادي قومه فأخطأه مقاتله فأصاب فخذه فقال عامر: هذا عمل عمّي أبي براء إن متُّ فدمي لعمّي لا تطلبوه به وإن أعش فسأرى رأيي فيه.

ثمّ كانت غزوة بني النّضير وذلك أنّ رسول الله ﷺ مشى إلى كعب بن الأشرف يستقرضه فقال: مرحباً بك يا أبا القاسم وأهلاً فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه فقام كأنّه يصنع لهم طعاماً وحدَّث نفسه وأهلاً فجلس رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بما همَّ به القوم من الغدر، فقام كأنّه يقضي حاجة وعرف أنّهم لا يقتلون أصحابه وهو حيٌّ فأخذ الطّريق نحو المدينة فاستقبله بعض أصحاب كعب الذين كان أرسل إليهم يستعين بهم على رسول الله فأخبر كعباً بذلك فسار المسلمون راجعين، فقال عبد الله بن صوريا وكان أعلم اليهود: والله

(١) عصية ـ كسمية ـ ورعل ـ كطفل ـ وذكوان ـ كسبحان ـ بطون من بني سليم. وقوله: «قنت» كذا أي دعا ولعله صتحيف والصواب «قمت».

(٢) «في سرح القوم» أي عند دوابهم حيث ذهبت للرعي.

إنَّ ربّه أطلعه على ما أردتموه من الغدر ولا يأتيكم والله أوّل ما يأتيكم إلاّ رسول محمّد يأمركم عنه بالجلاء فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثّالثة أن تسلموا فتأمنوا على دياركم وأموالكم وإلاّ فإنّه يأتيكم من يقول لكم اخرجوا من دياركم، فقالوا: هذه أحبُّ إلينا، قال: أمّا إنَّ الأُولى خيرٌ لكم منها ولولا أنّي أفضحكم لأسلمت ثمَّ بعث محمّد بن مسلمة إليهم يأمرهم بالرَّحيل والجلاء عن ديارهم وأموالهم وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال(1).

ثمّ كانت غزوة بني لحيان وهي الغزوة الّتي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان حين أتاه الخبر من السّماء بما همَّ به المشركون. وقيل: إنَّ هذه الغزوة كانت بعد غزوة بني قريظة.

ثمَّ كانت غزوة ذات الرّقاع بعد غزوة بني النّضير بشهرين قال البخاريُّ: إنّها كانت بعد خيبر لقي بها جمعاً من غطفان ولم يكن بينهما حرب قود خاف النّاس بعضهم بعضاً حتّى صلّى رسول الله صلاة الخوف ثمَّ انصرف بالنّاس، وقيل: إنّما سميت ذات الرّقاع لأنّه جبل فيه يقع حمرة وسود وبيضاء فسمّي ذات الرّقاع، وقيل: إنّما سمّيت بذلك لأنَّ أقدامهم نقبت فيها، فكانوا يلقون على أرجلهم الخرق، وكان على شفير واد نزل أصحابه، فرآه رجل من المشركين يقال له:

---

(1) نقل العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ عن الكازروني أنه كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول وكانت منازلهم بناحية الفرع وما والاها بقرية يقال لها: زهرة وأنهم لما نقضوا العهد وعاقدوا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وآله خرج عليه السلام يوم السبت وصلى في مسجد قبا ومعه نفر من أصحابه، ثم أتى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما فقتلهما عمرو بن أمية وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل وهموا بالغدر به فقال عمرو بن جحاش أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم فجاء جبرئيل فأخبره صلى الله عليه وآله فخرج راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً وقال: لا تبرح من مكانك فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك ثم لحقوا به فبعث النبي صلى الله عليه وآله محمد بن مسلمة إليهم وأمرهم بالجلاء الخ.

غورث فقال لقومه: أنا أقتل لكم محمداً، فأخذ سيفه ونحا نحوه وقال: من ينجيك منّي يا محمّد؟ قال: ويلك ينجيني ربّي، فسقط على صدره، فأخذ رسول الله ﷺ سيفه وجلس على صدره ثمَّ قال: من ينجيك منّي يا غورث؟ قال: جودك وكرمك يا محمّد فتركه، فقام وهو يقول: والله أنت أكرم منّي وخير.

غزوة بدر الأخيرة

ثم كانت غزوة بدر الأخيرة في شعبان. خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان فأقام عليها ثماني ليال وخرج أبو سفيان في أهل تهامة فلمّا نزل الظهيران بدا له في الرّجوع وأوقف رسول الله ﷺ وأصحابه السوق فاشتروا وباعوا وأصابوا بها ربحاً حسناً.

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق وهي الأحزاب في شوّال من سنة أربع من الهجرة أقبل حيي بن أخطب وكنانة بن الرّبيع وسلاّم بن أبي الحقيق وجماعة من اليهود بقريش وكنانة وغطفان، وذلك أنّهم قدموا مكّة فصاروا إلى أبي سفيان وغيره من قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم: أيدينا مع أيديكم ونحن معكم حتّى نستأصلهم، فخرجوا إلى غطفان ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم باتّباع قريش، فاجتمعوا معهم وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مرَّة ومسعر بن زحيلة بن نويرة بن طريف في قومه من أشجع وهم الأحزاب وسمع بهم رسول الله ﷺ فخرج إليهم وذلك بعد أن شاور سلمان الفارسيّ أن يصنع خندقاً وظهر في ذلك من آية النبوَّة أشياء:

منها ما رواه جابر بن عبد الله قال: اشتدّ عليهم في حفر الخندق كدية فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثمَّ دعا بما شاء الله أن يدعو، ثمَّ نضح الماء على تلك الكدية[1] فقال من حضرها: فو الله الذي بعثه بالحقّ لانثالت حتّى عادت كالكندر[2] ما تردُّ فأساً ولا مسحاة.

ومنها ما رواه جابر من إطعام الخلق الكثير من الطعام القليل وقد ذكرناه فيما قبل.

ومنها ما رواه سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: ضربت في ناحية من الخندق فعطف عليَّ رسول الله وهو قريب منّي، فلمّا رآني أضرب ورأى شدَّة المكان عليَّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثمَّ ضرب ضربة أُخرى فلمعت تحت المعول برقة أُخرى، ثمَّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ما هذا الّذي رأيت؟ فقال: أمّا الأولى فإنَّ الله فتح عليّ بها اليمن وأمّا الثانية فإنَّ الله فتح بها عليَّ الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنَّ الله فتح بها عليَّ المشرق.

وأقبلت الأحزاب إلى النبيّ ﷺ فهال المسلمون أمرهم فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب إلاّ الرَّمي بالنبل والحصى، ثمَّ انتدب فوارس من قريش البراز منهم عمرو بن عبدودّ وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن وهب بن وهب وضرار بن الخطّاب وهيّئوا للقتال وأقبلوا على خيولهم حتّى وقفوا على الخندق فلمّا تأمّلوا: والله إنَّ هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثمَّ تيمّموا مكاناً من الخندق فيه ضيق فضربوا خيولهم فاقتحمته فجالت

(١) الكدية بالضم قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس، والفأس هو الذي يشق به الحطب وغيره.

(٢) كذا وفي الخصائص للسيوطي وغيره «كالكثيب».

بهم في السبخة بين الخندق وسليع[1] وخرج عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه حتّى أخذوا عليهم الثّغرة[2] الّتي اقتحموها، فتقدَّم عمرو بن عبدودّ وطلب البراز، فبرز إليه عليٌّ عليه السلام فقتله. ــ وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله ــ فلمّا رأوا عكرمة وهبيرة عمراً صريعاً ولّوا منهزمين وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام الأبيات التي فيها:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت ربَّ محمّد بصوابي
فضربته وتركته متجدّلاً	كالجذع بين دكادك وروابي[3]
وعففت عن أثوابه ولو أنّني	كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبنّ الله خاذل دينه	ونبيّه يا معشر الأحزاب

ورمى ابن العرقة بسهم فأصاب الأكحل من سعد بن معاذ وقال: خذها منّي وأنا ابن العرقة، قال: عرَّق الله وجهك في النّار، وقال: اللّهمَّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقني بحربهم فإنّه لا قوم أحبُّ إليَّ أن أُقاتلهم من قوم كذّبوا رسولك وأخرجوه من حرمك، اللّهمَّ وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتّى تقرّ عيني من بني قريظة فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبات على الأرض.

قال أبان بن عثمان: حدَّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التلّ الذي عليه مسجد الفتح في ليلة ظلماء ذات قرّة قال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنّة؟ فلم يقم أحدٌ ثمَّ عاد ثانية وثالثة فلم يقم أحدٌ

(١) السبخة من الأرض ما يعلوه الملوحة ولا ينبت إلا ببعض الأشياء. وسليع اسم جبل بالمدينة وفي تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام «سلع».

(٢) الثغرة هي الموضع الذي يمر منه العدو، والناحية من الأرض.

(٣) «متجدلاً» أي لاصقاً بالأرض والدكادك جمع دكدك وهو الرمل اللين والروابي جمع رابية.

وقام حذيفة وقال: انطلق حتّى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم، فذهب فقال: اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتّى تردَّة إليَّ وقال: لا تحدث شيئاً حتّى تأتينا، ولّما توجّه حذيفة قام رسول الله ﷺ يصلّي ثمّ نادى بأشجى صوت «يا صريخ المكروبين يا مجيب دعوة المضطرّين اكشف همّي وكربي فقد ترى حالي وحال من معي» فنزل جبرئيل فقال: يا رسول الله إنَّ الله عزَّ وجلَّ سمع مقالتك واستجاب دعوتك وكفاك هول من تحزَّب عليك وناواك، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وبسط يديه وأرسل بالدَّمع عينيه، ثمّ نادى «شكراً شكراً كما آويتني وآويت من معي» ثمّ قال جبرئيل: يا رسول الله قد نصرك الله وبعث عليهم ريحاً من سماء الدُّنيا فيها الحصى وريحاً من السّماء الرَّابعة فيها الجنادل، قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم قد طفئت وأخمدت وأقبل جند الله الأوَّل ريح شديد فيها الحصى فإذا أنا بنيران القوم قد طفئت وأخمدت وأقبل جند الله الأوَّل ريح شديد فيها الحصى فما ترك لهم ناراً إلاّ أخمدها ولا خباء إلاّ طرحه ولا رمحاً إلاّ ألقاه حتّى جعلوا يتترّسون من الحصى وكنت أسمع وقع الحصا في التّرسة، وأقبل جند الله الأعظم، فقام أبو سفيان إلى راحلته ثمَّ صاح في قريش النجاء النجاء، ثمَّ فعل عيينة بن حصن مثلها وفعل الحارث بن عوف مثلها وذهب الأحزاب ورجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله على رسوله ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ إلى ما شاء الله من السّورة، وأصبح رسول الله بالمسلمين حتّى دخل المدينة فضربت فاطمة ابنته غسولاً فهي تغسل رأسه، إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من استبرق معلّق عليها الدُّر والياقوت، عليه الغبار. فقام رسول الله ﷺ فمسح الغبار عن وجهه فقال جبرئيل: رحمك ربّك وضعت السّلاح، ولم يضعه أهل السماء ما زلت أتبعهم حتّى بلغت الرَّوحاء، ثمَّ قال

بجرئيل: انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب فوالله لأدقّنّهم دقّ البيضة على الصّخرة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام فقال: قدّم راية المهاجرين إلى بني قريظة وقال: عزمت عليكم أن لا تصلّوا العصر إلاّ في بني قريظة، فقام عليٌّ عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النّجار كلّها لم يتخلّف عنه منهم أحد وجعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يسرّب إليه الرّجال فما صلّى بعضهم العصر إلاّ بعد العشاء فأشرفوا عليه وسبّوه وقالوا: فعل الله بك وبابن عمّك، وهو واقف لا يجيبهم، فلمّا أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون حوله تلقّاه أمير المؤمنين وقال: لا تأتهم يا رسول الله جعلني الله فداك فإنَّ الله سيجزيهم فعرف رسول الله أنّهم قد شتموه، فقال: أما إنّهم لو رأوني ما قالوا شيئاً ممّا سمعت وأقبل ثمَّ قال: يا إخوة القردة إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، يا عباد الطّاغوت اخسؤوا أخساكم الله فصاحوا يميناً وشمالاً: يا أبا القاسم ما كنت فحّاشاً فما بدا لك؟.

قال الصادق عليه السلام: فسقطت العنزة من يده وسقط رداؤه من خلفه وجعل يمشي إلى ورائه حياء ممّا قال لهم، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمساً وعشرين ليلة حتّى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل الرّجال وسبي الذّراريّ والنّساء وقسمة الأموال وأن يجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1] فلمّا جيء بالأُسارى حبسوا في دار وأمر بعشرة فأُخرجوا فضرب أمير المؤمنين أعناقهم، ثم أمر بعشرة فأُخرجوا فضرب الزُّبير أعناقهم وقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا قتل الرّجل والرّجلين، قال: ثمّ انفجرت رمية سعد والدّم ينفح حتّى قضى ونزع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رداءه فمشى في جنازته بغير رداء وبعث عبد الله بن عتيك إلى خيبر فقتل أبا رافع بن أبي الحقيق.

---

(١) قال الجزري قوله: «سبعة أرقعة» يعني سبع سماوات وكل سماء يقال لها: رقيع. وقيل: الرقيع اسم سماء الدنيا وأعطى كل سماء اسمها.

غزوة بني المصطلق

ثمّ كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة ورأسهم الحارث بن أبي ضرار وقد تهّيئوا للمسير إلى رسول الله ﷺ وهي غزوة المريسيع[1] وهو ماء وكانت في شعبان سنة خمس وقيل في شعبان سنة ستّ والله أعلم.

قالت جويرية بنت الحارث زوجة الرّسول ﷺ: أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع فأسمع أبي وهو يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من النّاس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلمّا أن أسلمت وتزوَّجني رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنّه رعبٌ من الله عزَّ وجلَّ يلقيه في قلوب المشركين قالت: ورأيت قبل قدوم النبيّ بثلاث ليال كأنّ القمر يسير من يثرب حتّى وقع في حجري فكرهت أن أخبر بها أحداً من النّاس فلمّا سبينا رجوت الرُّؤيا، فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوَّجني.

فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان وقتل عشرة منهم وأُسر سائرهم وكان شعار المسلمين يومئذ «يا منصور أمت». وسبى رسول الله ﷺ الرّجال والنساء والذّراري والنّعم والشياه، فلمّا بلغ النّاس أنَّ رسول الله تزوَّج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أُبيّ: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ـ الآية ـ﴾[2] وأُنزلت الآيات وفيها كانت قصّة إفك عائشة.

---

(١) مريسيع ـ بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وسين مهملة مسكورة وياء أُخرى وآخره عين مهملة ورواه بعضهم بالغين المعجمة ـ: ماء ناحية قديد إلى الساحل به غزوة النبي عليه السلام إلى بني المصطلق من خزاعة. (المراصد)

(٢) المنافقون: ٨.

وبعث رسول الله ﷺ في سنة ستّ في شهر ربيع الأوَّل عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمرة وبكّر القوم فهربوا وأصاب مائتي بعير لهم فساقها في المدينة.

وفيها بعث أبا عبيدة بن الجرَّاح إلى القصّة[1] في أربعين رجلاً فأغار عليهم وأعجزهم هرباً في الجبال وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى الجموم[2] من أرض بني سليم فأصابوا نعماً وشاء وأسراء.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأول.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى الطرَف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا وأصاب منهم عشرين بعيراً.

وفيها كانت عزوة عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك وذلك أنّه بلغ رسول الله ﷺ أنَّ لهم جمعاً يريدون أن يمدُّوا يهود خيبر.

وفيها سريّة عبد الرّحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان وقال له رسول الله ﷺ : إن أطاعوا فتزوَّج ابنة ملكهم فأسلم القوم وتزوَّج عبد الرّحمن تماضر بنت الأصبغ وكان أبوها رأسهم وملكهم.

وفيها بعث رسول الله ﷺ ـ في قول الواقدي ـ إلى العرنيين الّذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل عشرين فارساً فأُتي بهم فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم[3] وتركوا بالحرّة حتّى ماتوا.

---

(١) كذا وهكذا أيضاً في المناقب وفي تاريخ الطبري ج٢ ص٢٨٦ «إلى ذي القصة».

(٢) الجموم ـ بفتح أوله وضم ثانيه ـ أرض لبني سليم (المراصد).

(٣) في النهاية: «في حديث العرنيين» سمل أعينهم أي فقأها بحديدة محماة أو غيرها. وقيل: هو فقؤها بالشوك. وإنما فعل ذلك لأنهم فعلوا بالرعاة مثله وقتلوهم فجازاهم على صنيعهم بمثله.

عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: اللّهمَّ أعم عليهم الطّريق، قال: فعمي عليهم الطّريق.

وفيها أُخذت أموال أبي العاص بن الرَّبيع وقد خرج تاجراً إلى الشّام ومعه بضائع لقريش فلقيته سريّة لرسول الله ﷺ واستاقوا عيره وأفلت وقدموا بذلك على رسول الله ﷺ فقسّمه بينهم وأتى أبو العاص فاستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ ردَّ ماله عليه وما كان معه من أموال النّاس فدعا رسول الله ﷺ السريّة قال: إنَّ هذا الرّجل منّا بحيث قد علمتم فإن رأيتم أن تردّوا عليه فافعلوا، فردُّوا عليه ما أصابوا، ثمَّ خرج وقد مكّة وردَّ على النّاس بضائعهم ثمَّ قال: أما والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلاّ توقّياً أن تظنّوا أنّي أسلمت لأذهب بأموالكم وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً عبده ورسوله.

غزوة الحديبية

وفيها كانت غزوة الحديبية في ذي القعدة خرج ﷺ في ناس كثير من أصحابه يريد العمرة وساق معه سبعين بدنة وبلغ ذلك المشركين من قريش، فبعثوا خيلاً ليصدُّوه عن المسجد الحرام وكان يرى أنّهم لا يقاتلونه لأنّه خرج في الشهر الحرام وكان من أمر سهيل بن عمرو وأبي جندل ابنه وما فعله رسول الله ﷺ ما شك به من زعم أنّه ما شكّ إلاّ يومئذ في الدّين وأتى بريد بن ورقاء إلى قريش فقال لهم: يا معشر قريش خفّضوا عليكم[1] فإنّه لم يأت يريد قتالكم وإنّما يريد زيارة بيت الله الحرام، فقالوا: والله ما نسمع منك ولا تحدّث العرب

(١) قال في النهاية في حديث الإفك ورسول اللّه ﷺ يخفضهم أي يسكنهم ويهون عليهم الأمر من الخفض: الدعة والسكون.

أنّه دخلها عنوة[1] ولا نقبل منه إلاّ أن يرجع عنّا ثمَّ بعثوا إليه بكر بن حفص وخالد بن الوليد وصدُّوا الهدي وبعث عثمان بن عفّان إلى أهل مكّة يستأذنهم أن يدخل مكّة معتمراً، فأبوا أن يتركوه واحتبس، فظنَّ رسول الله ﷺ أنّهم تقلوه فقال لأصحابه: أتبايعوني على الموت؟ فبايعوه تحت الشّجرة على أن لا يفرُّوا منه أبداً، ثمَّ إنّهم بعثوا سهيل بن عمرو فقال: يا أبا القاسم مكّة حرمنا وعزّنا وقد تسامعت العرب بك أنّك قد غزوتنا ومتى ما تدخل علينا مكّة عنوة تطمع فينا فنتخطّف[2] وإنّا نذكّرك الرَّحم، فإنَّ مكّة بيضتك الّتي تفلّقت من رأسك، قال: فما تريد؟قال: أُيد أن أكتب بيني وبينك هدنة على أن أُخلّيها لك في قابل فتدخلها ولا تدخلها بخوف ولا فزع ولا سلاح إلاّ سلاح الراكب السيف في القراب والقوس، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذ أديماً أحمر فوضعه على فخذه ثمَّ كتب بسم الله الرحمن الرحيم [فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمّد فافتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللّهمَّ، فقال ﷺ:] واكتب باسمك اللّهمَّ [وامح ما كتبت. فقال عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت، فقال النبيُّ ﷺ: اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوَّة فامح هذا الاسم واكتب محمّد بن عبد الله: فقال له علي عليه السلام: إنّه والله لرسول الله على رغم أنفك فقال النبيُّ ﷺ: امحها يا عليُّ، فقال له: يا رسول الله إنَّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوَّة: قال: فضع يدي عليها، فمحاها رسول الله ﷺ بيده وقال لعليّ عليه السلام: ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض، ثمَّ كتب باسمك اللّهمَّ] هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ومن معه من

(١) عنوة أي قهراً أو غلبة.

(٢) تخطف الشيء أي استلبه انتزعه واجتذبه.

المسلمين سهيل بن عموو ومن معه من أهل مكّة على أنّ الحرب مكفوفة فلا إغلالس ولا إسلال ولا قتال، وعلى أن لا يستكره أحد على دينه وعلى أن يعبد الله بمكّة علانية، وعلى أنَّ محمّداً ينحر الهدي مكانه وعلى أن يخلّيها له في قابل ثلاثة أيّام فيدخلها بسلاح الراكب وتخرج قريش كلّها من مكّة إلاّ رجل واحد من قريش يخلفونه مع محمّد وأصحابه، ومن الحق محمّداً وأصحابه من قريش فإنَّ محمّداً يردّه إليهم ومن رجع من أصحاب محمّد إلى قريش بمكّة فإنَّ قريشاً لا تردّه إلى محمّد وقال رسول الله ﷺ: إذا سمع كلامي ثمَّ جاءكم فلا حاجة لي فيه، وأنَّ قريشاً لا تعين على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح إلى آخره. فجاء أبو جندل إلى النبيّ ﷺ حتّى جلس إلى جنبه فقال أبوه سهيل: ردّه عليَّ فقال المسلمون: لا نردّه فقام ﷺ وأخذ بيده فقال: «اللّهمَّ إن كنت تعلم أنَّ أبا جندل لصادقٌ فاجعل له فرجاً ومخرجاً» ثمَّ أقبل على الناس وقال: إنّه ليس عليه بأس إنّما يرجع إلى أبيه وأُمّه وإنّي أُريد أن أُتمّ لقريش شرطها ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنزل الله في الطريق سورة الفتح ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾.

قال الصادق عليه السلام: فما انقضت تلك المدَّة حتّى كاد الإسلام يستولي على أهل مكّة ولمّا رجع رسول الله إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أُسيد بن جارية الثقفيّ من المشركين وبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما وأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً فقال: مسعر حرب لو كان معه واحد، ثمَّ قال: شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قدموا معه المسلمين حتّى كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو في سبعين رجلاً راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير واجتمع إليهم ناس من غِفار وأسلم وجهينة

حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون لا تمرُّ بهم عير لقريش إلاّ أخذوها وقتلوا أصحابها فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله يسألونه ويتضرَّعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا: من خرج منّا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه فعلم الّذين كانوا أشاروا على رسول الله أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القصّة أنَّ إطاعة رسول الله خير لهم فيما أحبّوا وفيما كرهوا وكان أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما هم الّذين مرَّ بهم أبو العاص بن الربيع من الشام في نفر من قريش فأسروهم وأخذوا أموالهم ولم يقتلوا منهم أحداً لصهر أبي العاص رسول الله ﷺ وخلّوا سبيل أبي العاص فقدم المدينة على امرأته وكان أذن لها حين خرج إلى الشام أن تقدم المدينة فتكون مع رسول الله ﷺ وأبو العاص هو ابن أخت خديجة بنت خويلد.

غزوة خيبر

ثمّ كانت غزوة خيبر في ذي الحجّة من سنة ستّ وذكر الواقديُّ أنّها كانت أوّل سنة سبع من الهجرة وحاصرهم رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة وبخيبر أربعة عشر ألف يهوديّ في حصونهم فجعل رسول الله ﷺ يفتتحها حصناً حصناً وكان من أشدّ حصونهم وأكثرها عمر بن الخطّاب من الغد فرجع منهزماً يجبن الناس ويجبنونه حتّى ساء رسول الله ﷺ ذلك فقال: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً كرَّاراً غير فرَّار يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يده، فغدت قريش يقول بعضهم لبعض: أمّا عليٌّ فقد كفيتموه فإنّه أرمد لا يبصر موضع قدمه وقال عليٌّ عليه السلام لمّا سمع مقالة رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ لا معطي لام منعت ولا مانع لما أعطيت» فأصبح رسول الله ﷺ واجتمع إليه الناس قال سعد: جلست نصب عينيه ثمَّ جثوت على ركبتي ثمَّ قمت على رجلي قائماً

رجاء أن يدعوني، فقال: أرسلوا إليه وادعوه فأتي به يقاد، فوضع رأسّه على فخذة ثمَّ تفل في عينيه فقام فكأن عينيه جزعتان[1] ثمَّ أعطاه الراية ودعا له فخرج يهرول هرولة فوالله ما بلغت أُخراهم حتّى دخل الحصن، قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا وصاح سعد: يا أبا الحسن أربع[2] يلحق بك الناس فأقبل حتّى ركزها قريباً من الحصن فخرج إليه مرحب في عادته باليهود فبارزه فضرب رجله فقطعها وسقط وحمل عليٌّ والمسلمون عليهم فانهزموا.

قال أبان: وحدَّثني زرارة قال: قال الباقر عليه السلام: أنتهى إلى باب الحصن وقد أُغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً وتترَّس به، ثمَّ حمله على ظهره واقتحم الحصن أقتحاماً واقتحم المسلمون والباب على ظهره قال: فو الله ما لقي عليٌّ عليه السلام من الناس تحت الباب أشدُّ ممّا لقي من الباب ثمَّ رمى بالباب رمياً وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ عليّاً دخل الحصن فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج عليٌّ يتلقّاه فقال قد بلغني نبؤك المشكور وصنيعك المذكور قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك، فبكى عليٌّ عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا عليّ قال: فرحاً بأنَّ الله ورسوله عنّي راضيان، قال: وأخذ عليٌّ فيمن أخذ صفيّة بنت حييّ فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلاّ في يدي رسول الله حتّى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومرَّ بها إلى رسول الله على القتلى وقد كادت تذهب ورحها جزعاً فقال: أنزعت منك الرحمة يا بلال، ثمَّ اصطفاها صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه ثمَّ اعتقها وتزوَّجها.

قال: فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر عقد لواء ثمَّ قال: من يقوم فيأخذه بحقّه وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك فقام الزّبير إليه فقال: أنا، فقال له:

---

(١) الجزع ـ بالفتح ـ: الخرز اليماني.

(٢) أي قف وانتظر من ربع يربع أي وقف وانتظر.

أمط عنه[1] ثمّ قام سعد، فقال: أمط عنه، ثمَّ قال: يا عليُّ قم إليه فخذه فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم فكانت حوائط فدك لرسول الله ﷺ خاصّاً خالصاً، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله عزَّ وجلَّ يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقّه، فقال: يا جبرئيل ومن قراباتي وما حقّها؟ قال: فاطمة فأعطها حوائط فدك وما الله ولرسوله فيها، فدعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر وقالت: هذا كتاب رسول الله ﷺ لي ولابنيّ.

قال: ولّما فتح رسول الله ﷺ خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة إلى المدينة، فقال: ما أدري بأيّهما أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

وعن سفيان الثّوريّ، عن أبي الزّبير عن جابر قال: لّما قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة تلقّاه رسول الله ﷺ فلمّا نظر جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله حجل ـ يعني مشى على رجل واحدة ـ إعظاماً لرسول الله، فقبّل رسول الله ما بين عينيه.

وروى زرارة عن أبي جعفر أنَّ رسول الله ﷺ لّما استقبل جعفراً التزمه ثمَّ قبّل عينيه. قال: وكان رسول الله ﷺ قبل أن يسير إلى خيبر أرسل عمرو بن أُميّة الضميري إلى النجاشي عظيم الحبشة ودعاه إلى الإسلام فأسلم وكان أمر عمراً أن يتقدَّم بجعفر وأصحابه فجهّز النجاشي جعفراً وأصحابه بجهاز حسن وأمر لهم بكسوة وحملهم في سفينتين.

ثم بعث رسول الله ﷺ ـ فيما رواه الزّهري ـ عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن أنيس إلى يسير بن رزام اليهوديّ لّما بلغه أنّه يجمع غطفان ليغزو بهم فأتوه فقالوا: إنّا أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر فلم

(١) أي تنح واذهب.

يزالوا به حتّى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كلّ رجل منهم رديف من المسلمين، فلمّا ساروا ستّة أميال ندم اليسير فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله فزجر بعيره ثمّ اقتحم يسوق بالقوم حتّى إذا استمكن من اليسير ضرب رجله فقطعها فاقتحم اليسير وفي يده مخرش من شوحط[1] فضرب به وجه عبد الله فشجّه مأمومة [2] وانكفأ كلٌ من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدّاً ولم يصب من المسلمين أحد وقدموا على رسول الله ﷺ فبصق في شجّة عبد الله بن أنيس فلم تؤذه حتّى مات.

وبعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرَّة فقتل وأسر.

وبعث عيينة بن حصن البدري إلى أرض بني العنبر فقتل وأسر.

غزوة عمرة القضاء

ثمّ كانت غزوة عمرة القضاء سنة سبع اعتمر رسول الله ﷺ والّذين شهدوا معه الحديبية ولمّا بلغ قريشاً ذلك خرجوا متبدّدين فدخل مكّة وطاف بالبيت على بعيره بيده محجن يستلم به الحجر وعبد الله بن رواحة آخذ بخطامه وهو يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله ... خلّوا فكلّ الخير في رسوله
قد أنزل الرَّحمن في تنزيله ... نضربكم ضرباً على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ... ضرباً يزيل الهام عن مقيله
يا ربّ إنّي مؤمن بقيله

وأقام بمكّة ثلاثة أيّام وتزوَّج بها ميمونة بنت الحارث الهلاليّة ثمَّ خرج فابتنى بها بسرف ورجع إلى المدينة فأقام بها حتّى دخلت سنة ثمان.

---

(١) المخرش: عصا معرجة الرأس كالصولجان. والشوحط: ضرب من شجر الجبال يتخذ منه القسي.

(٢) المأمومة: الشجة التي بلغت أم الرأس.

غزوة مؤته

ثم كانت غزوة مؤتة[1] في جمادى من سنة ثمان بعث جيشاً عظيماً وأمّر على الجيش زيد بن حارثة ثمَّ قال:

فإن أُصيب زيد فجعفر فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أُصيب فليرتض المسلمون واحداً فليجعلوه عليهم.

وفي رواية أبان بن عثمان عن الصّادق عليه السلام أنّه استعمل عليهم جعفراً فإن قتل فزيد فإن قتل فابن رواحة، ثمَّ خرجوا حتّى نزلوا معان[2] فبلغهم أنَّ هرقل ملك الرّوم قد نزل بمأرب في مائة ألف ن الرُّوم ومائة ألف من المستعربة.

وفي كتاب أبان بن عثمان بلغهم كثرة عدد الكفّار في العرب والعجم من الخم وجذام وبليّ وقضاعة وانحاز المشركون إلى أرض يقال لها: المشارف، وإنّما سمّيت السّيوف المشرفيّة لأنّها طبعت لسليمان بن داود بها فأقاموا بمعان يومين فقالوا: نبعث إلى رسول الله فنخبره بكثرة عدوّنا حتى يرى في ذلك رأيه، فقال عبد الله بن رواحة: يا هؤلاء إنّا والله لا نقاتل النّاس آلاف حتّى بلغوا جموع الرّوم بقرية من قرى البلقاء يقال لها: شرف، ثمَّ انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق الإحساء.

وعن أنس بن مالك قال: نعى النبيُّ جعفراً وزيد بن حارثة وابن رواحة نعاهم قبل أن يجيء خبرهم وعيناه تذرفان ـــ رواه البخاري في الصحيح ـــ.

---

(١) مؤتة موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كانت تعمل السيوف.

(٢) المعان: موضع بطريق حاج الشام.

قال أبان: وحدَّثني الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أُصيب يومئذ جعفر وبه خمسون جراحة خمس وعشرون منها في وجهه. قال عبد الله بن جعفر: أنا أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أُمّي فنعى لها أبي فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدُّموع حتّى تقطّرت لحيته ثمَّ قال: اللّهمَّ إنَّ جعفراً قد قدم إليك إلى أحسن الثّواب فاخلفه في ذرّيّته بأحسن ما خلّفت أحداً من عبادك في ذرّيّته. ثمَّ قال: يا أسماء ألا أُبشّرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، قال: إنَّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة، قالت: فأعلم النّاس ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتّى رقي إلى المنبر وأجلسني أمامه على الدَّرجة السّفلى والحزن يعرف عليه فقال: إن المرء كثير حزنه بأخيه وابن عمّه، ألا إنَّ جعفراً قد أستشهد وجُعل له جناحان يطير بهما في الجنّة، ثمَّ نزل ودخل بيته وأدخلني معه وأمر بطعام يصنع لأجلي وأرسل إلى أخي فتغذينا جميعاً عنده غذاء طيّباً مباركاً وأقمنا ثلاثة أيّام في بيته ندور معه كلّما صار في بيت إحدى نسائه، ثمّ رجعنا إلى بيتنا فأتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أُساوم شاة أخ لي فقال: اللّهمَّ بارك له في صفقته قال عبد الله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت شيئاً إلاّ بورك لي فيه.

قال الصّادق: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة اذهبي فابكي على ابن عمّك، فإن لم تدعي بثكل[1] مما قلت فقد صدقت.

وذكر محمّد بن إسحاق عن عروة قال: لمّا أقبل أصحاب مؤتة تلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه فجعلوا يحثون عليهم التّراب ويقولون: يا فرّار، فررتم في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليسوا بفرّار ولكنّهم الكرّار إن شاء الله.

(١) أي لا تقولي واثكلاه ثم كل ما قلت فيه من الفضائل فقد صدقت لكثرة فضائله.

غزوة الفتح

ثمَّ كانت غزوة الفتح في شهر رمضان من سنة ثمان وذلك أنَّ رسول الله لمّا صالح قريشاً عام الحديبية، ودخلت خزاعة في حلف النّبيّ ﷺ وعهده ودخلت كنانة في حلف قريش فلمّا مضت سنتان من القضيّة قعد رجل من كنانة يروي هجاء رسول الله ﷺ فقال له رجل من خزاعة: لا تذكر هذا قال: وما أنت وذاك؟ فقال: لئن أعدت لأ كسرنَّ قال: فأعادها فرفع الخزاعي يده فضربه بها فاستنصر الكناني قومه والخزاعيُّ قومه، وكانت كنانة أكثر فضربوهم حتّى أدخلوهم الحرم وقتلوا منهم وأعانهم قريش بالكراع والسّلاح فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فخبّره الخبر وقال أبيات شعر منها:

لا هـمَّ أنّـي ناشـدٌ محمّـدا   حلـف أبينـا وأبيـه الأتلـدا[1]

إنَّ قريـشاً أخلفـوك الموعـدا   ونقـضوا ميثاقـك المؤكّـدا

وقتّلونـا ركّعـاً وسـجّدا

فقال رسول الله ﷺ حسبك يا عمرو ثمَّ قام ودخل دار ميمونة وقال: اسكبوا إليَّ ماء فجعل يغتسل ويقول: لا لا نصرت إن لم أنصر بني كعب، ثمَّ أجمع رسول الله على المسير إلى مكّة وقال: اللّهمَّ خذ العيون من قريش حتّى نأتيها في بلدها. فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش أنَّ رسول الله خارج إليكم يوم كذا وكذا فخرجت وتركت الطّريق ثمَّ أخذت ذات اليسار في الحرَّة فنزل جبرئيل فأخبره فدعا عليّاً والزّبير فقال لهما: أدركاها وخذا منها الكتاب، فخرج عليٌّ عليه السلام والزَّبير لا يلتقيان أحداً حتّ وردا ذا الحليفة[2] وكان النّبيّ وضع حرساً على المدينة وكان على الحرس حارثة بن النّعما فأتيا الحرس فسألاهم فقالوا:

---

(١) الحلف ـ بالكسر ـ: العهد بين القوم. والأتلد: الأقدم.

(٢) في بعض الكتب «الخليقة».

ما مرَّ بنا أحدٌ ثمَّ استقبلا حاطباً فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرَّة فأدركاها فأخذ عليٌّ عليه السلام منها الكتاب وردَّها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فدعا حاطباً فقال له: انظر ما صنعت قال: أما والله إنّي لمؤمن بالله ورسوله ما شككت ولكنّي رجلٌ لي بمكّة عشيرة ولي بها أهل فأردت أن أتّخذ عنهم يداً ليحفظوني فيهم، فقال عمر بن الخطّاب: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فوالله لقد نافق، فقال: إنّه من أهل بدر ولعلّ الله أطّلع عليهم فغفر لهم أخرجوه من المسجد، فجعل النّاس يدفعون في ظهره وهو يلتف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليرأف عليه فأمر بردّه وقال: قد عفوت عن جرمك فاستغفر ربّك ولا تعد لمثل ما جنيت فأنزل الله سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ـ إلى صدر السورة ـ﴾[1].

فصل قال أبان: وحدَّثني عيسى بن عبد الله القمّي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا انتهى الخبر إلى أبي سفيان وهو بالشام بما صنعت قريش بخزاعة أقبل حتّى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد احقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدّة قال: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا. قال: فنحن على ما كنّا عليه، فخرج فلقي أبا بكر فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا بكر أجر بين قريش قال: ويحك وأحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! ثمَّ لقي عمر له مثل ذلك، ثمَّ خرج فدخل على أُمّ حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته فقال: يا بنيّة أرغبةً بهذا الفراش عنّي؟ قال: نعم هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ما كنت لتجلس عليه وأنت رجس مشرك ثمَّ خرج ودخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله وسيّد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدَّة فتكونين أكرم سيّدة في الناس، قالت: جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فتأمري ابنيك "أن يجيرا بين الناس قالت: والله ما يدري ابناي ما يجيران من قريش، فخرج فلقي عليّاً فقال: أنت أمسّ القوم بي

(١) أي إلى آخر الآيات من صدر السورة (الممتحنة).

رحماً وقد اعتسرت عليَّ الأمور فاجعل لي منها وجهاً قال: أنت شيخ قريش تقوم على باب المسجد فتجير بين قريش ثمَّ تقعد على راحلتك، وتحلق بقومك قال: وهل ترى ذلك نافعي؟ قال: لا أدري فقال: يا أيّها الناس إنّي قد أجرت بين قريش ثمَّ ركب بعيره وانطلق فقدم على قريش، فقالوا: ما وراءك قال: جئت محمّداً فكلّمته فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً، ثمّ جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً، ثمَّ لقيت عليّاً فأمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا: هل أجاز ذلك محمّد؟ قال: لا. قالوا: ويحك لعب بك الرّجل أو انت تجير بين قريش؟.

فصل وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلّى العصر لليلتين مضتا من شهر رمضان فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ودعا رئيس كلّ قوم فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم، قال الباقر عليه السلام: خرج رسول الله في غزوة الفتح فصام وصام النّاس حتّى نزل كراع الغميم فأمر بالإفطار فأفطر وأفطر الناس وصام قوم فسمّوا العصاة لأنّهم صاموا ثمَّ سار حتى نزل مرَّ الظّهران ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس وقد عميت الأخبار من قريش، فخرج في تلك اللّيلة أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء هل يسمعون خبراً، وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب خرج يتلقى رسول الله ومعه أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أُميّة وقد تلقّاه بنيق العقاب ورسول الله في قبّة وعلى حرسه يومئذ زياد بن أُسيد فاستقبلهم زياد فقال: أمّا أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبّة وأمّا أنتما فارجعا فمضى العبّاس حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلّم عليه وقال: بأبي أنت وأُمّي هذا ابن عمّك قد جاء تائباً وابن عمّتك، قال: لا حاجة لي فيهما إنَّ ابن عمّي انتهك عرضي وأمّا ابن عمّتي فهو الّذي يقول بمكّة: لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، فلمّا خرج العبّاس كلّمته أُمّ سلمة وقالت: بأبي أنت وأُمّي لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، فلمّا خرج العبّاس

كلّمته أُمّ سلمة وقالت: بأبي أنت وأُمّي ابن عمّك قد جاء تائباً لا يكون أشقى النّاس بك وأخي ابن عمّتك وصهرك فلا يكوننّ شفيّاً بك، ونادى أبو سفيان بن الحارث النبيَّ وقال: يا رسول الله كن لنا كما قال العبد الصالح: لا تثريب عليكم، فدعاه وقبل منه ودعا عبد الله بن أبي أُميّة فقبل منه وقال العبّاس: هو الله هلاك قريش إلى آخر الدَّهر إن دخلها رسول الله ﷺ عنوة قال: فركبت بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرجت أطلب الحطّابة أو صاحب لبن لعلّي آمره أن يأتي قريشاً فيركبون إلى رسول الله ﷺ يستأمنون إليه إذ لقيت أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام وأبو سفيان يقول لبديل: ما هذه النيران قال: هذه خزاعة، قال: خزاعة أقلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانهم، ولكن هذه تيم أو ربيعة قال العبّاس: فعرفت صوت أبي سفيان فقلت: أبا حنظلة! قال: لبّيك فمن أنت؟ قلت: أنا العبّاس قال: فما هذه النيران فداك أبي وأُمّي؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف من المسلمين قال: فما الحيلة، قلت: تركب في عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ﷺ قال: فأردفته خلفي ثمّ جئت به فكلّما انتهيت إلى ناد قاموا إليَّ فإذا رأوني قالوا: هذا عمُّ رسول الله خلّوا سبيله حتّى انتهيت إلى باب عمر فعرف أبا سفيان فقال: عدوُّ الله الحمد لله الّذي أمكن منك، فركضت البغلة حتّى اجتمعنا على باب القبّة ودخل على رسول الله ﷺ فقال: هذا أبو سفيان قد أمكنك الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه، قال العبّاس: فجلست عند رأس رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأُمّي أبو سفيان وقد أجرته قال: أدخله فدخل فقام بين يديه فقال: يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأُمّي ما أكرمك وأوصلك وأحلمك، أمّا الله لو كان معه إله لأغنى يوم أُحد ويوم بدر وأمّا أنّك رسول الله فوالله إنَّ في نفسي منها لشيئاً، قال العبّاس: يضرب والله عنقك في هذه السّاعة أو تشهد أن لا

إله إلاّ الله وأنّه رسول الله ﷺ، قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك لرسول الله ــ تلجلج بها فوه ــ فقال أبو سفيان للعبّاس: فما نصنع باللاّت والعزّى فقال عمر: اسلح عليهما، فقال أبو سفيان: أُفّ لك ما أفحشك ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمّي؟ فقال له رسول الله ﷺ: عند من تكون اللّيلة؟ قال: عند أبي الفضل قال: فاذهب به يا أبا الفضل فأبته عندك اللّيلة واغد به عليَّ، فلمّا أصبح سمع بلالاً يؤذّن، قال: ما هذا المنادي يا أبا الفضل؟ قال: هذا مؤذّن رسول الله ﷺ قم فتوضّأ وصلّ قال: كيف أتوضّأ، فعلّمه قال: ونظر أبو سفيان إلى النبيّ وهو يتوضّأ وأيدي المسلمين تحت شعره فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلاّ مسح بها وجهه فقال: يا أبا الفضل بالله إن رأيت كاليوم قطُّ كسرى ولا قيصر، فلمّا صلّى غدا به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي أُحبُّ أن تأذن لي إلى قومك فأُنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله، فأذن له فقال للعبّاس: كيف أقول لهم؟ بيّن لي من ذلك أمراً يطمئنّون إليه، فقال ﷺ: تقول لهم: من قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّداً رسول الله وكفَّ يده فهو آمن ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن فقال العبّاس: يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجل يحبُّ الفخر فلو خصّصته بمعروف، فقال ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال أبو سفيان: داري؟ قال: دارك، ثمَّ قال: من أغلق بابه فهو آمن، ولمّا مضى أبو سفيان قال العبّاس: يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجلٌ من شأنه الغدر وقد رأى من المسلمين تفرّقاً، قال: فأدركه واحبسه في مضايق الوادي حتّى يمرّ به جنود الله، قال: فلحقه العبّاس فقال: يا أبا حنظلة! قال: أغدراً يا بني هاشم؟ قال: ستعلم أنَّ الغدر ليس من شأننا ولكن أصبح[1] حتّى تنظر إلى جنود

---

(١) ولكن أصبح أي اصبر حتى يتنور الصبح والإصباح: الدخول في الصباح ويطلق على الأسفار وقال الراغب: الصباح أول النهار وهو وقت ما احمر الأفق بحاجب الشمس.

الله قال العبّاس: فمرَّ خالد بن الوليد فقال أبو سفيان: هذا رسول الله قال: لا ولكن هذا خالد بن الوليد في المقدّمة ثمَّ مرّ الزبير في جهينة وأشجع فقال أبو سفيان: يا عبّاس هذا محمّد؟ قال: لا. هذا الزُّبير فجعلت الجنود تمرُّ به حتّى مرَّ رسول الله ﷺ في الأنصار ثمَّ انتهى إليه سعد بن عبادة وبيده راية رسول الله ﷺ فقال: يا أبا حنظلة. اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة، يا معشر الأوس والخزرج ثاركم يوم الجبل[1].

فلمّا سمعها من سعد خلّى العبّاس وسعى إلى رسول الله وزاحم الناس حتّى مرَّ تحت الرّماح فأخذ غرزة فقبّلها[2]، ثمَّ قال: بأبي أنت وأُمّي أما تسمع ما يقول سعد وذكر القول فقال: ليس ممّا قال سعد شيء ثمَّ قال لعليّ عليه السلام: أدرك سعداً فخذ الرّاية منه وأدخلها إدخالاً رفيقاً، فأخذها عليٌّ منه وأدخلها كما أمر، قال: وأسلم يومئذ حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وجبير بن مطعم وأقبل أبو سفيان يركض حتّى دخل مكّة وقد سطع الغبار من فوق الجبال وقريش لا تعلم وأقبل أبو سفيان من أسفل الوادي يركض فاستقبله قريش وقالوا: ما وراءك وما هذا الغبار؟ قال: محمّد في خلق ثمَّ صاح يا آل غالب البيوت من دخل داري فهو آمن فعرفت هند فأخذت تطردهم ثمَّ قالت اقتلوا الشيخ الخبيث لعنه الله من وافد قوم وطليعة قوم قال: ويلك إنّي رأيت ذات القرون ورأيت فارس أبناء الكرام ورأيت ملوك كندة وفتيان حمير يسلمن آخر النّهار ويلك اسكتي فقد جاء الحقُّ ودنت البليّة.

فصل وكان قد عهد رسول الله ﷺ إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكّة إلاّ من قاتلهم سوى نفر كانوا يؤذون النبيّ مقيس بن صبابة[3] وعبد الله بن سعد بن أبي

(١) أي اطلبوا دماءكم التي أريقت يوم أحد.

(٢) الغرز ـ بالفتح ـ: ركاب.

(٣) في القاموس «حبابة».

سرح وعبد الله بن خطل وقينتين كانتا تغنّيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة فأدرك ابن خطل وهو متعلّق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمّار بن ياسر فسبق سعيد عمّاراً فقتله وقتل مقيس بن صبابة في السّوق وقتل عليٌّ عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأُخرى وقتل عليٌّ عليه السلام أيضاً الحويرث بن نقيذ بن كعب وبلغه أنَّ أُمَّ هاني بنت أبي طالب عليها السلام قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد، فنادى: أخرجوا من آويتم فجعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى[1] خوفاً منه فخرجت إليه أُمُّ هاني وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله أنا أُمُّ هاني بنت عمّ رسول الله ﷺ وأُخت عليّ بن أبي طالب انصرف عن داري فقال عليٌّ عليه السلام أخرجوهم، فقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله ﷺ فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشدّ حتّى التزمته، فقالت: فديتك حلفت لأشكونّك إلى رسول الله ﷺ فقال لها: فاذهبي فبرّي قسمك فإنّه بأعلى الوادي، قالت أُمّ هاني: فجئت إلى رسول الله ﷺ وهو في قبّة يغتسل وفاطمة تستره فلمّا سمع كلامي رسول الله ﷺ قال: مرحباً بك يا أُمَّ هاني قلت: بأبي أنت وأُمّي ما لقيت من عليّ اليوم! فقال: قد أجرت من أجرت فقالت فاطمة عليها السلام: إنّما جئت يا أُمَّ هاني تشكين من عليّ في أنّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله فقلت: احتملني فديتك فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله تعالى سعيه وأجرت من أجارت أُمُّ هاني لمكانها من عليّ بن أبي طالب.

قال أبان: وحدَّثني بشير النّبال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا كان فتح مكّة قال رسول الله ﷺ: عند من المفتاح؟ قالوا: عند أمّ شيبة، فدعا شيبة فقال: أذهب إلى أُمّك فقل لها ترسل بالمفتاح، فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا وتريد أن

(١) الذرق بالذال والزاي بمعنى والحبارى معروف بالحمق والجبن.

تأخذ منّا مكرمتنا، فقال: لها ترسل بالمفتاح، فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا وتريد أن تأخذ منّا مكرمتنا، فقال: لترسلنّ به أو لأقتلنّك فوضعته في يد الغلام فأخذه ودعا عمر فقال له: هذا رؤياي من قبل، ثمَّ قام ففتحه وستره فمن يومئذ يستر، ثمّ دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح وقال: ردّه إلى أُمّك قال: ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنَّ السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب ثمّ قال: «لا إله إلاّ الله أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده» ثمَّ قال: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظنُّ خيراً أخ كريم وابن عمّ قال: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرَّاحمين ألا إنَّ كلَّ مال ودم ومأثرة كان في الجاهليّة فإنّه موضوع تحت قدمي إلاّ سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنّهما مردودتان إلى أهليهما ألا إنَّ مكّة محرَّمة بتحريم الله لم تحلَّ لأحد كان قبلي ولم تحلَّ لي إلاّ ساعة من نهار فهي محرّمة إلى أن تقوم السّاعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحلّ لقطتها إلاّ لمنشد، ثمَّ قال: ألا لبئس جيران النبيّ كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم[1] ثمَّ ما رضيتم حتّى جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء، فخرج القوم كأنّما أُنشروا من القبور ودخلوا في الإسلام، قال: ودخل رسول الله ﷺ مكّة بغير إحرام وعليهم السّلاح ودخل البيت لم يدخله في حجّ ولا عمرة ودخل وقت العصر فأمر بلال فصعد على الكعبة وأذّن فقال عكرمة: والله إن كنت لأكره صوت ابن رباح ينهق على الكعبة وقال: خالد بن أسيد الحمد لله الذي أكرم أبا عتّاب عن هذا اليوم من أن يرى ابن رباح قائماً على الكعبة، قال سهيل: هي كعبة الله وهو يرى ولو شاء [الله] لغيّر قال: وكان اقصدهم وقال أبو سفيان: أمّا

---

(١) لفل: الكسر والضرب.

أنا فلا أقول شيئاً والله لو نطقت لظننت أنَّ هذه الجدر تخبر به محمّداً وبعث إليهم فأخبرهم بما قالوا فقال عتّاب: قد والله قلنا يا رسول الله ذلك فنستغفر الله ونتوب إليه فأسلم وحسن إسلامه وولاّه رسول الله مكّة.

قال: وكان فتح مكّة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا في أسفل مكّة وأخطأوا الطريّق فقتلوا.

فصل وبعث رسول الله ﷺ السّرايا فيما حول مكّة يدعون إلى الله عز وجلّ ولم يأمرهم بقتال فبعث غالب بن عبد الله إلى بني مدلج فقالوا: لسنا عليك ولسنا معك، فقال النّاس: أُغزهم يا رسول الله، فقال: إنَّ لهم سيّداً أديباً أريباً وربّ غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله، وبعث عمرو بن أُميّة الضمري إلى بني الهذيل فدعاهم إلى الله ورسوله فأبوا أشدّ الإباء، فقال النّاس: أُغزهم يا رسول الله، فقال: أتاكم الآن سيّدهم قد أسلم فيقول لهم: أسلموا، فيقولون: نعم، فبعث عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر فأسلموا فجاء معه نفر منهم إلى رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر وقد كانوا أصابوا في الجاهليّة من بني المغيرة نسوة فقتلوا عمَّ خالد، فاستقبلوه وعليهم السّلاح وقالوا: يا خالد إنّا لم نأخذ السّلاح على الله وعلى رسوله ونحن مسلمون، فإن كان بعثك رسول الله ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها فقال: صغوا السلاح، قالوا: إنّا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهليّة وقد أماتها الله ورسوله، فانصرف عنهم بمن معه فنزلوا قريباً ثمَّ شنَّ عليهم الخيل فقتل وأسر منهم رجلاً، ثمّ قال: ليقتل كلّ رجل منكم أسيره فقتلوا الأسرى وجاء رسولهم إلى رسول الله فأخبره بما فعله خالد، فرفع يده إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا فعله خالد، وبكى ثمَّ دعا عليّاً فقال: أُخرج إليهم وانظر في أمرهم وأعطاه سفطاً من ذهب ففعل ما أمره وأرضاهم.

غزوة حنين

ثمّ كانت غزوة حنين وذلك أنَّ هوازن جمعت هل جمعاً كثيراً فذكر لرسول الله ﷺ أنَّ صفوان بن أُميّة عنده مائة درع فسأله ذلك، فقال: أغصباً يا محمّد؟ قال: لا ولكن عارية مضمونة، قال: لا بأس بهذا فأعطاه فخرج رسول الله ﷺ في ألفين من مكّة وعشرة آلاف كانوا معه، فقال أحد أصحابه: لن تغلب اليوم من قلّة فشقَّ ذلك على رسول الله فأنزل الله سبحانه ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ـ الآية ـ[1] ﴾ وأقبل مالك بن عوف النصريّ فيمن معه من قبائل قيس وثقيف فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد[2] عيناً فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنّكم أحدُّ العرب وأعدُّه وإنَّ هذا رجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال[3] فإذا لقيتمون فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا عليه حملوا عليه حملة رجل واحد، فأتى ابن أبي حدرد رسول الله ﷺ فأخبره فقال عمر: لا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد، فقال: قد كنت ضالاًّ فهداك الله يا عمر وابن أبي حدرد صادق.

قال الصادق عليه السلام: وكان مع هوازن دريد بن الصمّة خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمّنون برأيه فلمّا نزلوا بأوطاس[4] قال: نعم مجال الخيل لا حزنٌ ضرس، ولا

---

(١) التوبة: ٢٥ وتمام الآية ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

(٢) قال في القاموس أبو حدود الأسلمي صحابي. ولم يجئ فعلع بتكرير العين. والحدرد: القصير كذا في شرح التسهيل انتهى.

(٣) قال الجوهري: يقال: صدقوهم القتال ويقال للرجل الشجاع والفرس الجواد إنه لذو مصدق ـ بالفتح ـ أي صادق الحملة وصادق الجري كأنه ذو صدق فيما يعدك من ذلك.

(٤) أوطاس موضع على ثلاث مراحل من مكة.

سهل دَهس، ما لي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير[1] وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع النّاس أموالهم ونساءهم وذراريهم قال: فأين مالك فدُعي مالك له، فأتاه فقال: يا مالك أصبحت رئيس قومك وإنَّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيّام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشّاة[2] قال: أردت أن أجعل خلف كلّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم قال: ويحك لم تصنع شيئاً إن قدَّمت بيضة هوازن[3] إلى نحور الخيل وهل يرد وجه المنهزم شيء إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، قال: إنّك قد كبرت وكبر عقلك، فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك وعقلك هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه ثمّ قال: حرب عوان[4].

يا ليتني فيها جذع   أخبُّ فيها وأضع[5]

قال جابر: فسرنا حتّى إذا استقبلنا وادي حنين كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضائقه فما راعنا إلاّ كتائب الرّجال بأيديها السّيوف والعمد

---

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض أو ما ارتفع منها. والضرس ـ بالكسر ـ: الأكمة الخشنة. والدهس ـ بالفتح ـ: المكان السهل اللين. ورغاء ـ بالضم ـ: صوت البعير. والنهيق ـ بالفتح ـ والنهاق ـ بالضم ـ صوت الحمار.

(٢) الثغاء ـ بالفتح ـ: صوت الشاة والمعز وما شاكلها.

(٣) بيضة القوم: مجتمعهم وموضع سلطانهم.

(٤) «لم أغب عنه» أي أنا حاضر بنفسي لكن لا يسعني القتال فيه ولا يعملون برأيي فكأني غائب أو أني وإن لم ار مثل هذا اليوم ولكني أعلم عاقبة الأمر فيه. والعوان من الحرب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة.

(٥) وقوله: «يا ليتني فيها جذع» أي ليتني كنت شاباً عند ظهور النبوة حتى أبالغ في نصرتها. كذا في النهاية وقال الجوهري: الخبب: ضرب من العدو وخب البعير إذا راوح بين يديه ورجليه وقال: وضع البعير أي أسرع في سيره.

والقنى فشدُّوا علينا شدَّة رجل واحد، فانهزم النّاس راجعين لا يلوي أحد على أحد وأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطّلب.

وأقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمّداً فأروه فحمل على رسول الله ﷺ وكان رجلاً أهوج[1] فلقيه رجلٌ من المسلمين فالتقيا فقتله مالك، وقيل: إنّه أيمن بن أُمَّ أيمن، ثمَّ أيمن، ثمَّ أقدم فرسه فأبى أن يقدم نحو رسول الله ﷺ وصاح كلدة بن الحنبل وهو أخ صفوان بن أميّة لأمّه وصفوان يومئذ مشرك: ألا بطل السحر اليوم، فقال صفوان: اسكت فضّ الله فاك فوالله لأن يرُبّني[2] رجل من قريش أحبُّ إليّ يربّني رجل من هوازن.

قال محمّد بن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدّار: أُدرك ثاري ـ وكان أبوه قتل يوم أُحد ـ اليوم أقتل محمّداً، قال: فأردت برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شيء حتّى تغشّى فؤادي فلم أُطق ذلك فعرفت أنّه ممنوع.

وروى عكرمة عن شيبة قال: لمّا رأيت رسول الله يوم حنين قد عري[3] ذكرت أبي وعمّي وقتل عليّ وحمزة إياهما فقلت: أُدرك ثاري اليوم من محمّد فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا أنا بعبّاس بن عبد المطّلب قائماً عليه درع بيضاء كأنّها فضّة يكشف عنها العجاج فقلت: عمّه ولن يخذله، ثمَّ جئته من خلفه فلم يبق إلاّ أن أسوره سورة بالسيف[4] إذ رفع لي شواظ من نار[5] بيني وبينه كأنّه

---

(١) قال في الصحاح: رجل أهوج أي طويل وبه تسرع وحمق.

(٢) قال الجوهري: رببت القوم: سستهم أي كنت فوقهم ومنه قول صفوان لأن يربني رجل من قريش الخ.

(٣) أي بقي لا معين ولا أنصار.

(٤) قال في البحار هكذا فيما عندنا من النسخ بالسين يقال:سار الرجل إليه سوراً أي وثب وتسورت الحائط أي تسلقته ولعل الأصوب بالصاد من صار الشيء أي قطعه وفصله.

(٥) الشواظ ـ بالضم والكسر ـ: لهب لا دخان فيه أو دخان النار وحرها. (القاموس).

برق، فخفت أن يمحشني[1] فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، والتفت رسول الله إليَّ وقال: يا شبيب أُدن منّي، اللّهمَّ أذهب عنه الشّيطان، قال فرفعت إليه بصري ولهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، وقال: يا شبيب قاتل الكفّار.

وعن موسى بن عقبة قال: رسول الله ﷺ في الرّكابين وهو على البغلة فرفع يده إلى الله يدعو ويقول: «اللهمّ إنّي أنشدك ما وعدتني، اللّهمَّ لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا» ونادى أصحابه وذموهم[2] يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرَّة على نبيّكم وقيل: إنّه قال: يا أنصار رسول الله يا بني الخزرج، وأمر العبّاس بن عبد المطّلب فنادى في القوم فأقبل إليه أصحابه سراعاً يبتدرون.

وروي أنّه ﷺ قال: الآن حمي الوطيس[3].

أنــــا الـــــنّبيّ لا كـــــذب   أنـــا ابـــن عبـــد المطّلـــب

قال سلمة بن الأكوع: ونزل رسول الله ﷺ عن البغلة ثمَّ قبض قبضة من تراب ثمَّ استقبل به وجوههم وقال: شاهت الوجوه[4] فما خلق الله منهم إنساناً إلاّ ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولّوا مدبرين، فأتبعهم المسلمون فقتلوهم وغنّمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وأموالهم وفرَّ مالك بن عوف حتّى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكّة حتى رأوا نصر الله وإعزاز دينه.

---

(١) الماحش: المحرق كالمتحش وامتحش: احترق.

(٢) الذمر ـ كفلس ـ: الملامة في القاموس. وفي الصحاح الذمر ـ ككتف ـ: الشجاع.

(٣) قال الجزري في حديث حنين: «الآن حمي الوطيس» الوطيس: التنور، وهو كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب.

(٤) شاهت الوجوه أي قبحت.

قال أبان: وحدَّثني محمّد بن الحسن بن زياد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين أربعة آلاف رأس واثني عشر ألف ناقة سوى ما لا يُعلم من الغنائم وخلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنفال والأموال والسبايا بالجعرانة وافترق المشركون فرقتين فأخذت الأعراب ومن تبعهم أو طاس، وأخذت ثقيف ومن تبعهم الطائف، وبعث رسول الله أبا عامر الأشعري إلى أوطاس فقال حتّى قتل، ثمَّ أخذ الرَّاية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمّه فقاتل بها حتّى فتح عليه.

غزوة الطائف

ثمَّ كانت غزوة الطائف سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف في شوّال سنة ثمان فحاصرهم بضعة عشر يوماً وخرج نافع بن غيلان بن معتّب في خيل من ثقيف فلقيه عليٌّ عليه السلام في خيله فالتقوا ببطن وجّ[1] فقتله عليٌّ وانهزم المشركون ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجماعة من أقاربهم منهم أبو بكرة وكان عبداً لحارث بن كلدة المنبعث وكان اسمه المضطجع فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبعث، ووردان وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة فأسلموا فلمّا قدم وفد طائف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا قالوا: يا رسول الله ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك، فقال: لا أُولئك عتقاء الله.

وذكر الواقديُّ عن شيوخه قال: شاور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في حصن الطائف فقال له سلمان الفارسي ـ رحمه الله ـ: يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعمل منجنيق ويقال: قدم بالمنجنيق يزيد بن زمعة ودبّابتين[2] ويقال: خالد بن سعيد فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد

(١) وج هو موضع بناحية الطائف وقيل: هو اسم جامع وقيل اسم واحد منها.

(٢) الدبابة ـ مشددة ـ: آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها. (القاموس)

محماة بالنار فاحترقت الدبّابة، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فنادى سفيان بن عبد الله الثّقفي: لم تقطع أموالنا إمّا أن تأخذها إن ظهرت علينا وإمّا أن تدعها لله والرَّحم، فقال رسول الله ﷺ: فإنّي أدعها لله والرَّحم، فتركها، وأنفذ رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام في خيل عند محاصرة أهل الطائف وأمره أن يكسر كلّ صنم وجده، فخرج فلقيه جمع كثيرٌ من خثعم، فبرز له رجلٌ من القوم وقال: هل من مبارز، فلم يقم إليه أحدٌ فقام إليه عليٌّ عليه السلام فوثب أبو العاص بن الرَّبيع زرج بنت النبيّ فقال: تكفاه أيّها الأمير، فقال: لا ولكن إن قتلت فأنت على الناس فبرز إليه عليٌّ عليه السلام وهو يقول:

إنّ على كلِّ رئيس حقّا　　　أن يروي الصعدة أو تدقّا[1]

ثمَّ ضربه فقتله ومضى حتّى كسر الأصنام وانصرف إلى رسول الله ﷺ وهو بعد محاصر لأهل الطائف ينتظره فلمّا رآه كبّر وأخذ به وخلا به.

فروى جابر بن عبد الله قال: لّما خلا رسول الله ﷺ بعليّ بن أبي طالب يوم الطائف أتاه عمر بن الخطاب فقال أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟ فقال: يا عمر ما أنا انتجيته بل الله انتجاه قال: فأعرض وهو يقول: هذا كما قلت لنا يوم الحديبية لتدخلنّ لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين فلم ندخله وصددنا عنه، فناداه ﷺ لم أقل لكم إنّكم تدخلونه ذلك العام، فلمّا قدم عليٌّ فكأنّما كان رسول الله ﷺ على وجل فارتجل[2] فنادى سعيد بن عبيد، ألا إن الحيّ مقيم فقال: لا أقمت ولا ظعنت فسقط فانكسر فخذه.

---

(١) الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة.

(٢) «على وجل» أي على خوف وذلك من سرعة ارتحاله ومجيئه وقوله: «ألا إن الحي مقيم» أي من كان حياً ينبغي أن يزول حتى يفتح أو المراد بالحي القبيلة. وقوله: «لا أقمت ولا ظعنت»دعاء عليه بعدم قدرته على الإقامة كما يريد.

وعن محمّد بن إسحاق قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثمَّ انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم فجاءه وفده في شهر رمضان فأسلموا.

فصل ثمَّ رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة بمن معه من النّاس وقسّم بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين في المؤلّفة قلوبهم من قريش ومن سائر العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، قيل: إنّه جعل للأنصار شيئاً يسيراً وأعطى الجمهور للمنافقين.

قال محمّد بن إسحاق: فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، ومعاوية ابنه مائة بعير، وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزَّى بن قصي مائة بعير،وأعطى النّضير بن الحارث بن كلدة مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام نم بني مخزوم مائة بعير، وجبير بن مطعم من بني نوفل بن عبد مناف مائة بعير،ومالك بن عوف النصري مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المائة وقيل: إنّه أعطى علقمة بن علاثة مائة والأقراع بن حابس مائة وعيينة بن حصن مائة وأعطى العبّاس بن مرداس أربعاً فتسخطها[1] وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيـــ ــــد بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولاحابس يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

وقد كنت في الحرب ذا تدرإ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيـــ ــــد بين الأقرع وعيينة

(١) أي استقل عطاء ولم يقع منه موقعاً.

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي لست بشاعر[1] قال ﷺ: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: يا علي قم فاقطع لسانه[2] قال العبّاس: فوالله لهذه الكلمة أشدُّ عليّ من يوم خثعم فأخذ عليٌّ عليه السلام بيدي فانطلق بي وقلت: يا علي إنّك لقاطع لساني؟ قال: إنّي ممض فيك ما أُمرت حتّى أدخلني الحظائر فقال: اعقل ما بين أربعة إلى مائة قال: قلت: بأبي أنت وأُمّي ما أكرمكم وأحلمكم وأجملكم وأعلمكم فقال لي: إنَّ رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة قال: فقلت لعليّ عليه السلام: أشر أنت عليَّ، قال: فإنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى، قال: فإنّي أفعل، قال: فغضب قوم من الأنصار لذلك وظهر منهم كلام قبيح حتّى قال قائلهم: لقي الرَّجل أهله وبني عمّه ونحن أصحاب كلّ كريهة، فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما دخل على الأنصار أمرهم أن يقعدوا ولا يقعد معهم غيرهم. ثمَّ أتاهم شبه المغضب يتبعه عليٌّ عليه السلام حتّى جلس وسطهم، فقال: ألم آتكم وأنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم الله منها بي؟ قالوا: بلى ولله ورسوله المنُّ والطّول والفضل علينا، قال: ألم آتكم وأنتم أعداء فألّف بين قلوبهم؟ قالوا: أجل، ثمَّ قال: ألم آتكم وأنتم قليل فكثّركم الله بي، وقال ما شاء الله أن يقول ثمَّ سكت، ثمَّ قال: ألا تجيبوني. ؟ قالوا: نعم نجيبك يا رسول الله، فداك أبونا وأُمنا، لك المنُّ والطّول والفضل، قال: بل لو شئتم قلتم: جئتنا طريداً مكذَّباً فآويناك وصدَّقناك وجئتنا خائفاً فآمنّاك، فارتفعت إليه أصواتهم وقام إليه شيوخهم فقبّلوا يديه ورجليه وركبتيه وقالوا: رضينا عن الله وعن رسوله وهذه أموالنا أيضاً بين يديك فاقسمها بين قومك إن شئت، فقال: يا معشر الأنصار

---

(١) لعله ﷺ تعمد ذلك لئلا يجري على لسانه الشعر فلم يفهم أبو بكر ذلك.

(٢) يعني لسان العباس بن مرداس.

أوجدتم في أنفسكم إذ قسّمت مالاً أتألّف به قوماً ووكلتكم إلى إيمانكم أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنّعم ورجعتم أنتم ورسول الله في سهمكم، ثمَّ قال: الأنصار كرشي وعيبتي[1] لو سلك النّاس وادياً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللّهمَّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار.

فصل قال: وقد كان فيما سبي أخته بنت حليمة فلمّا قامت على رأسه قالت: يا محمّد أُختك سبي ــ بنت حليمة ــ قال: فنزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه ثم أكبّ عليها يسائلها وهي الّتي كانت تحضنه إذ كانت أمّها ترضعه.

وأدرك وفد هوازن رسول الله ﷺ بالجعرانة[2] وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله لنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منَّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إنّا لو ملحنا[3] للحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر، ثمَّ نزل منّا مثل الّذي نزلت لعاد علينا بفضله وعطفه وأنت خير المكفولين، وإنّما في الحظائر خالاتك وحواضنك وبنات حواضنك اللاّتي أرضعنك ولسنا نسألك مالاً إنّما نسألكهنَّ وقد كان رسول الله ﷺ قسّم منهنَّ ما شاء الله فلمّا كلّمته أخته قال: أمّا نصيبي ونصيب بني عبد المطّلب فهو لك وأمّا ما كان اللمسلمين فاستشفعي بي عليهم فلمّا صلّوا الظّهر، قامت فتكلّمت وتكلّموا فوهب لها النّاس أجمعهم إلاّ الأقراع بن حابس وعيينة بن حصن فإنّهما أبيا أن يهبا وقالوا: يا رسول الله إنَّ هؤلاء قد أصابوا من نسائنا فنحن نصيب من نسائهم مثل ما

---

(١) قال الجزري في حديث حنين «الأنصار كرشي ــ بالكسر ــ وعيبتي» أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره.

(٢) الجعرانة موضع قريب من مكة وهو في الحل وميقات الإحرام وهي بتسكين العين والتخفيف وقد تكسر وتشدد الراء. (النهاية).

(٣) الملح: الرضاع والملح ـ بالفتح ـ: مصدر قولك ملحنا لفلان ملحاً: أرضعناه.

أصابوا فأقرع رسول الله ﷺ بينهم ثمَّ قال: اللّهمَّ توّه سهمهما[١] فأصاب أحدهما خادماً لبني عقيل وأصاب الآخر خداماً لبني نمير، فلمّا رأيا ذلك وهبا ما منعا، قال: ولولا أنَّ النساء وقعن في القسمة لوهبهنَّ لها كما وهب ما لم يقع في القسمة ولكنّهن وقعن في أنصباء النّاس فلم يأخذ منهم إلاّ بطيبة النفس.

وروى أنَّ رسول الله ﷺ قال: من أمسك منكم بحقّه فله بكلّ إنسان ستُّ فرائض من أوّل فيء نصيبه، فردُّوا إلى النّاس نساءهم وأبناءهم، قال: وكلّمته أخته في مالك بن عوف فقال: إن جاءني فهو آمن فأتاه فردَّ عليه ماله وأعطاه مائة من الإبل.

فصل روى الزُّهريّ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدريّ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسّم إذ أتاه ذو الخويصرة رجلٌ من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ: ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل وقد خبت أو خسرت إن أنا لم أعدل، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإنَّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السّهم من الرّمية ينظر إلى نصله فلا يوجد في شيء ثمّ ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثمَّ ينظر إلى نضيّه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر في قذذه[٢] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدّم آتيهم رجلٌ أسود إحدى

---

(١) أي أهلك وضيع من التوى وهو الهلاك والهاء للسكت ومن التوه وهو الهلاك والذهاب.

(٢) قال الجزري في حديث الخوارج «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» أي يجوزونه ويخرقونه ويبعدونه كما يمرق السهم من الشيء المرمي به ويخرج منه وقال: الرصاف هو عقب يلوى على مدخل النصل فيه، وقال في حديث الخوارج « فينظر في نضيه» النضي: نصل السهم وقيل:هو السهم وقيل: هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحاً وهو أولى لأنه قد جاء في الحديث ذكر النصل بعد النضي وقيل:هو من السهم ما بين الريش والنصل، والقذذ: ريش السهم واحدتها قذة. انتهى.

عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر[1] يخرجون على خير فرقة من النّاس.

قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرَّجل فالتمس فوجد فأُتي به حتّى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الّذي نعت (رواه البخاريُّ في الصحيح).

فصل قالوا: ثمَّ ركب رسول الله واتبعه النّاس يقولون يا رسول الله اقسم علينا فيئنا حتّى ألجأوه إلى شجرة فانتزع عنه رداؤه فقال: أيّها النّاس ردُّوا عليَّ ردائي فوالّذي نفسي بيده لو كان عندي عدد شجرها نعماً لقسّمته عليكم، ثمَّ ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً، ثمَّ قال إلى جنب بعير وأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه فقال: أيّها النّاس والله ما لي من فيئكم هذه الوبرة إلاّ الخمس والخمس مردود عليكم فأدّوا الخياط والمخيط، فإنَّ الغلول عارٌ وشنارٌ على أهله يوم القيامة، فجاءه رجلٌ من الأنصار بكبّة من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي، فقال رسول الله ﷺ: أمّا حقّي منها فلك، فقال الرَّجل: أمّا إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لي بها ورمى بها من يده.

ثمّ خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة في ذي القعدة إلى مكّة فقضى بها عمرته ثمَّ صار إلى المدينة وخليفته على أهل مكّة معاذ بن جبل.

فقال محمّد بن إسحاق: استخلف عتّاب بن أُسيد وخلّف معه معاذاً يفقّه النّاس في الدّين ويعلّمهم القرآن حجّ بالنّاس في تلك السّنة وهي سنة ثمان عتّاب بن أُسيد، وأقام ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجّة إلى رجب.

---

(١) تدردر أي ترجرج تجيء وتذهب والأصل تتدردر فحذف إحدى التائين تخفيفاً.

غزوة تبوك

ثمّ كانت غزوة تبوك تهيّأ رسول الله ﷺ في رجب لغزو الرُّوم وكتب إلى قبائل العرب ممّن قد دخل في الإسلام وبعث إليهم الرّسل يرغّبهم في الجهاد والغزو، وكتب إلى تميم وغطفان وطيّ وبعث إلى عتّاب بن أُسيد عامله إلى مكّة المشرَّفة يستنفرهم لغزو الرُّوم فلمّا تهيّأ للخروج قام خطيباً فحمد الله تعالى وأثنى عليه ورغّب في المؤاساة وتقوية الضعيف والإنفاق فكان أوَّل من أنفق فيه عثمان بن عفّان جاء بأواني من فضّة فصبّها في حجر النبيّ ﷺ فجهّز ناساً من أهل الضعف وهو الّذي يقال إنّه جهّز جيش العسرة، وقدم العبّاس على رسول الله ﷺ عسكره فوق ثنيّة الوداع بمن تبعه من المهاجرين وقبائل العرب وبني كنانة وأهل تهامة ومزينة وجهينة وطيّ وتميم، واستعمل على المدينة عليّاً وقال: إنّه لا بدَّ للمدينة منّي أو منك واستعمل الزّبير على راية المهاجرين وطلحة بن عبيد الله على الميمنة وعبد الرّحمن بن عوف على الميسرة وسار رسول الله ﷺ حتّى نزل الجوف فرجع عبد الله بن أُبيّ بغير إذن فقال رسول الله ﷺ: حسبي الله هو الذي أيّده بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم ـ الآية ـ فلمّا انتهى إلى الجوف لحقه عليٌّ وأخذ بغرز رحله[1] وقال: يا رسول الله زعمت قريش أنّك خلّفتني استثقالاً منّي، فقال: طال ما آذت الأُمم أنبياءها، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ فقال: قد رضيت فرجع إلى المدينة وقدم رسول الله ﷺ تبوك في شعبان يوم الثّلثاء وأقام بقيّة شعبان وأيّاماً من شهر رمضان وأتاه وهو بتبوك يحنّة بن رؤبة صاحب ايلة[2] فأعطاه الجزية وكتب رسول الله ﷺ له كتاباً والكتاب عندهم وكتب أيضاً لأهل جرباء وأذرح[3] كتاباً وبعث

(١) الغرز ـ كفلس ـ: الركاب.

(٢) ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم. وجبل بين مكة والمدينة قرب ينبع. (المراصد).

(٣) جرباء وأذرح هما قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال وكتب لهما النبي ﷺ أماناً فيه. (النهاية).

رسول الله ﷺ وهو بتبوك بأبي عبيدة بن الجرَّاح إلى جمع من جذام مع زنباع بن روح الجذامي فأصاب منهم طرفاً[1] وأصاب منهم سبايا، وبعث سعد بن عبادة إلى ناس من بني سليم وجموع من بليّ فلمّا قاربوا القوم هربوا وبعث خالداً إلى الأُكيدر صاحب دومة الجندل وقال له: لعلّ الله يكفيكه بصيد البقر فتأخذه، فبينا خالد وأصحابه في ليلة إضحيان[2] إذ أقبلت البقرة، تنتطح باب حصن أُكيدر وهو مع امرأتين له يشرب الخمر فقام فركب هو وحسّان أخوه وناس من أهله فطلبوها وقد كمن له خالد وأصحابه فتلقّاه أُكيدر وهو يتصيّد البقر فأخذوه وقتلوا حسّاناً أخاه وعليه قباء مخوّص بالذّهب[3] وأفلت أصحابه وقد دخلوا الحصن وأغلقوا الباب دونهم فأقبل خالد بأُكيدر وسار معه إلى أصحابه وسألهم أن يفتحوا له الباب فأبوا فقال: أرسلني فإنّي أفتح الباب فأخذ عليه موثقاً وأرسله فدخل وفتح الباب حتّى دخل خالد وأصحابه وأعطاه ثماني مائة رأس وألفي بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح وخمسمائة سيف فقيل ذلك منه وأقبل به إلى رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية.

وفي كتاب دلائل النبوّة للشيخ أبي بكر أحمد البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وذكر الإسناد مرفوعاً إلى أبي الأسود عن عروة قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك[4] إلى المدينة حتّى إذا كان ببعض الطريق مكر به ناس من أصحابه فأتمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق وأرادوا أن يسلكوها معه، فأُخبر رسول الله خبرهم، فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع

---

(١) وزنباع ـ كقنطار ـ والطرف جمع الطرفة: نفائس الأموال وغرائبها.

(٢) ليلة أضحيانة أي مضيئة لا غيم فيها.

(٣) أي منسوج بالذهب.

(٤) قفل ـ كنصر وضرب ـ قفولاً: رجع فهو قافل. (القاموس).

لكم،فأخذ النبيُّ ﷺ العقبة وأخذ النّاس بطن الوادي إلاّ النفر الّذين أرادوا المكر به استعدّوا وتلثموا[1] وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام النّاقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينا هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه[2] فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردَّهم فرجع ومعه محجن[3] فاستقبل وجوه راحلتهم وضربهم ضرباً بالمحجن وأبصر القوم وهم متلثّمون فرعّبهم الله حين أبصروا حذيفة حتّى أدرك رسول الله ﷺ فلمّا أدركه قال: اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت يا عمّار، فأسرعوا فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبيّ: ياحذيفة هل عرفت من هؤلاء الرَّهط أو الرّكب أحداً؟ فقال: عرفت راحلة فلان وكانت ظلمة اللّيل غشيتهم وهم متلثّمون، فقال: هل علمتم[4] ما شأن الرّكب وما أرادوا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنّهم مكروا ليسيروا معي حتّى إذا أظلمت بي العقبة طرحوني منها، قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فتضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدّث الناس يقولوا: إنَّ محمّداً قد وضع يده في أصحابه، فسمّاهم لهما وقال: أُكتماهم.

وفي كتاب أبان بن عثمان قال الأعمش: وكانوا اثني عشر سبعة من قريش قال: وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكان إذا قدم من سفر استقبل بالحسن والحسين عليهما السلام فأخذهما إليه وحفّ المسلمون به حتّى يدخل على فاطمة عليها السلام ويقعدون بالباب وإذا خرج مشوا معه وإذا دخل منزله تفرّقوا عنه.

---

(١) تلثم أي شد الثوب أو النقاب على أنفه أو فمه.

(٢) الوكزة: العدو وفي بعض النسخ [ركزة] وهو بمعناه. وقوله: «غشوه» أي ازدحموا عليه وكثروا (كذا في النهاية).

(٣) المحجن ـ كمنبر ـ: العصاء المعوجة.

(٤) (كذا).

وعن أبي حميد الساعدي[1] قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك حتّى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة وهذا جبل أُحد يحبّنا ونحبّه.

وعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ لّما دنا من المدينة قال: إنَّ بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلاّ كانوا معكم فيه، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: نعم، وهم بالمدينة، حبسهم العذر.

وكانت تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ ومات عبد الله بن أُبيّ بعد رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك.

نزول سورة براءة

فصل فنزلت سورة ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ في سنة تسع فدفعها إلى أبي بكر فسار بها فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إنّه لا يؤدّي عنك إلاّ أنت أو عليٌّ فبعث عليّاً على ناقته العضباء فلحقه فأخذ منه الكتاب فقال له أبو بكر: أنزل فيَّ شيء؟ قال: لا ولكن لا يؤدّي عن رسول الله ﷺ إلاّ هو أو أنا، فسار بها عليٌّ حتّى أذَّن بمكّة يوم النّحر وأيّام التشريق، وكان في عهده أن ينبذ إلى المشركين عهدهم وأن لا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل المسجد مشرك ومن كان له عهد فإلى مدَّته ومن لم يكن له عهد فإلى أربعة أشهر فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ـ إلى قوله ـ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[2] قال: ولّما دخل مكّة اخترط[3] سيفه وقال: والله لا يطوف بالبيت عريان إلاّ ضربته بالسّيف حتّى أُلبسهم الثّياب، فطافوا وعليهم الثياب.

---

(١) صحابي مشهور (التقريب).

(٢) التوبة: ٥.

(٣) اخترط سيفه أي انتزعه من غلافه وحركه يميناً وشمالاً.

فصل قال: ثمَّ قدم على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفيُّ مسلماً واستأذن رسول الله ﷺ فيي الرّجوع إلى قومه فقال: إنّي أخاف أن يقتلوك قال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه الأذى حتّى إذا طلع الفجر قام في غرفة من داره فأذَّن وتشهّد، فرماه رجلٌ بسهم فقتله وأقبل بعد قتله من وفد ثقيف بصفة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فاسلموا فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص بن بشر، وقد كان تعلّم سوراً من القرآن، وقد ورد في الخبر عنه أنّه قال: قلت: يا رسول الله إنَّ الشيطان قد حال بين صلاتي وقراءتي، قال: ذاك الشيطان يقال له: خنزب[1] فإذا خشيت فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت فأذهب الله عنّي (رواه مسلم في الصحيح).

فصل فلمّا أسلمت ثقيف ضربت إلى رسول الله ﷺ وفود العرب فدخلوا في دين الله أفواجاً كما قال الله سبحانه، فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزّبر قان بن بدر وقيس بن عاصم وعيينة بن حصن الفزاريّ وعمرو بن الأهتم وكان الأقرع وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ وأحسن جوارهم، وممّن قدم عليه وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأُمّه وكان عامر قد قال لأربد: إنّي شاغلٌ عنك وجهه فإذا فعلته فاعله بالسيف، فلمّا قدموا عليه، قال عامر: يا محمد خالني[2]، فقال: لا، حتّى تؤمن بالله وحده ـ يقولها مرَّتين ـ فلمّا أبي عليه رسول الله ﷺ قال: والله لأملأنّها عليك خيلاً حمراً ورجالاً فلمّا ولى قال رسول

---

(١) قال الجزري: في حديث الصلاة «ذلك شيطان يقال له: خنزب» قال أبو عمرو» وهو لقب له. والخنزب: قطعة لحم منتنة ويروى بالكسر والضم.

(٢) قوله: «خالني» أمر من المخالة وهي المحبة الخالصة. (النهاية)

الله ﷺ : اللّهمَّ اكفني عامر بن الطفيل، فلمّا خرجوا قال عامر لأربد: أين ما كنتُ أمرتك به، قال: والله ما هممت بالّذي أمرتني به إلاّ دخلتَ بيني وبين الرَّجل، أفأضربك بالسيف، وبعث الله على عامر بن الطفيل في طريقه ذلك الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول وخرج أصحابه حين واروه إلى بلادهم وأرسل الله تعالى على أربد وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفي كتاب أبان بن عثمان أنّهما قدما على رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير قال: وجعل يقول عامر عند موته: أغدّة كغدّة البكر[1] وموت في بيت سلوليّة.

قال: وكان رسول الله ﷺ قال في عامر وأربد: اللّهمَّ أبدلني بهما فارسي العرب فقدم عليه زيد بن مهلهل الطائي وهو زيد الخيل وعمرو بن معدي كرب.

فصل وممّن قدم على رسول الله ﷺ وفد طيّ فيهم زيد الخيل وعديّ بن حاتم فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وسمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيداً وأرضين معه وكتب له كتاباً، فلمّا خرج زيد من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه قال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حمّى المدينة أو من أُمّ ملدم[2] فلمّا انتهى من بلد نجد إلى ماء يقال له فرَدَة أصابته الحمّى فمات بها وعمدت امرأته إلى ما كان معه من الكتب فأحرقتها.

وذكر محمّد بن إسحاق أنَّ عديّ بن حاتم فرّ وأنَّ خيل رسول الله ﷺ قد أخذوا أُخته فقدموا بها على رسول الله ﷺ وأنّه منَّ عليها وكساها وأعطاها نفقة فخرجت مع ركب حتّى قدمت الشام وأشارت على أخيها بالقدوم فقدم وأسلم وأكرمه رسول الله ﷺ وأجلسه على وسادة رمى إليه بيده.

---

(١) الغدة: داء يصيب البعير فيموت. والبكر: الفتيّ من الإبل.

(٢) أم ملدم نوع من الحمى أو الترديد من الراوي.

فصل وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معدي كرب وأسلم ثمَّ نظر إلى أبي عثعث الخثعمي فأخذ برقبته وأدناه إلى رسول الله ﷺ فقال: أعدني على هذا الفاجر الّذي قتل والدي فقال: أهدر الإسلام ما كان في الجاهليّة فانصرف عمرو مرتدّاً وأغار على قوم من بني الحارث بن كعب فأنفذ رسول الله عليّاً إلى بني زبيد وأمّره على المهاجرين وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره أن يقصد لجعفيّ فإذا التقيا فأمير النّاس علي بن أبي طالب وسار عليٌّ عليه السلام واستعمل على مقدّمته خالد بن سعيد بن العاص فلمّا رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشيّ فأخذ منك الأتاوة[1] ؟ فقال: سيعلم إن لقيني وخرج عمرو وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم وقتل أخوه وابن أخيه وأُخذت امرأته ركانة وسبي منهم نسوان وخلّف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض زكواتهم ويؤمن من عاد إليه من هرابهم مسلماً، فرجع عمرو واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلى الإسلام وكلّمه في امرأته وولده فوهبهم له وكان أمير المؤمنين قد اصطفى من السبي جارية فبعث خالد بريدة الأسلمي إلى النبيّ ﷺ وقال له: تقدّم الجيش إليه فأعلمه ما فعل عليٌّ عليه السلام من اصطفاء الجارية من الخمس لنفسه وقع فيه فسار بريدة حتّى دخل على النبيّ ومعه كتاب خالد فجعل يقرؤه على رسول الله ووجهه يتغيّر، فقال بريدة: إن رخّصت يا رسول الله للناس مثل هذا ذهب فيئهم فقال رسول الله ﷺ: يا بريدة أحدثت نفاقاً إنَّ عليَّ بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحلُّ لي، إنَّ عليَّ بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك وخير من أُخلف بعدي لكافّة أُمتي، يا بريدة احذر أن تبغض عليّاً فيبغضك الله، قال بريدة: فتمنّيت أنَّ الأرض انشقّت لي فسخت فيه وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن

(١) الأتاوة ـ بالفتح ـ: الخراج.

أبغض عليّاً أبداً ولا أقول فيه إلاّ خيراً فاستغفر له النبيّ، قال بريدة: فصار عليٌّ أحبَّ خلق الله بعد رسوله إليّ.

فصل وقدم على رسول الله ﷺ وفد نجران فيهم بضعة عشر رجلاً من أشرافهم وثلاثة نفر يتولّون أمورهم العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح والسيّد وهو ثمالهم[1] وصاحب رحلهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة الأُسقف وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وله فيهم شرف ومنزلة وكانت ملوك الروم قد بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم، فلمّا وجّهوا إلى رسول الله ﷺ جلس أبو حارثة على بغلة وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز وبشر بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز: تعس الأبعد[2] ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست قال له: ولم يا أخ؟ فقال: والله إنّه النبيُّ الّذي كنّا ننتظره، قال كرز: فما يمنعك أن تتبعه؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرّفونا وموّلونا وأكرمونا وقد أبوا إلاّ خلافه ولو فعلت نزعوا منّا كلَّ ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كرز حتّى أسلم ثمَّ مرَّ يضرب راحلته ويقول:

إليك تغدو قلقاً وضينها معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها[3]

---

(١) فلان ثمال القوم ـ بالكسر ـ أي غياث لهم، يقوم بأمرهم.

(٢) التعس: الهلاك والعثار والسقوط، والشر والبعد والانحطاط والفعل ـ كمنع وسمع ـ فإذا خاطبت قلت: تعست ـ كمنع ـ وإذا حكيت قلت: تعس ـ كسمع ـ. والأبعد: الخائن والمتباعد من الخير.

(٣) قال في النهاية. في حديث علي عليه السلام «إنك لقلق الوضين» القلق: الانزعاج والوضين بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، أراد أنه سريع الحركة يصفه بالخفة وقلة الثبات كالحزام إذا كان رخواً.

فلمّا قدم على النبيّ أسلم قال: فقدموا على رسول الله ﷺ وقت العصر وفي لباسهم الدّيباج وثياب الحبرة على هيئة لم يقدم بها أحد من العرب، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لو لبست حلّتك التي أهداها لك قيصر فرأوك فيها، قال: ثم أتوا رسول الله ﷺ فسلّموا عليه فلم يردّ عليه السلام ولم يكلّمهم فانطلقوا يتتبّعون عثمان بن عفّان وبعد الرَّحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في مجلس من المهاجرين فقالوا: إنَّ نبيّكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه وسلّمنا عليه فلم يردّ سلامنا ولم يكلّمنا فما الرأي؟ فقالا لعليّ بن أبي طالب: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ثمّ يعودون إليه، ففعلوا ذلك فسلّموا فردَّ عليهم سلامهم ثمَّ ساءلوه ودارسوه يومهم وقال الأُسقف: ما تقول في السيّد المسيح يا محمّد؟ قال: هو عبد الله ورسوله، قال: بل كذا وكذا فقال ﷺ: بل هو كذا وكذا فترادّا فنزل على رسول الله ﷺ من صدر سورة آل عمران نحو من سبعين آية يتبع بعضها بعضاً وفيما أنزل الله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ - إلى قوله - عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ فقالوا للنّبيّ: نباهلك غداً وقال أبو حارثة لأصحابه: انظروا فإن كان محمّد غداً يباهلكم بولده وأهل بيته فاحذروا مباهلته وإن غدا بأصحابه وأتباعه فباهلوه.

قال أبان: حدَّثني الحسين بن دينار، عن الحسن البصري قال: غدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة عليها السلام وبين يديه عليٌّ عليه السلام وغدا العاقب والسيّد بابنين على أحدهما درّتان كأنّهما بيضتا حمام فحفّوا بأبي حارثة فقال أبو حارثة: من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه زوج ابنته وهذان ابنا ابنته وهذه بنته أعزُّ النّاس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدّم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه، فقال أبو حارثة: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكعّ[1] ولم يقدم على المباهلة فقال

(١) كع الرجل عن الأمر: جبن وأحجم.

له السيّد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال: لا، إنّي لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً فلا يحول والله علينا الحول وفي الدُّنيا نصرانيٌّ يطعم الماء، قال: وكان نزل العذاب من السماء لو باهله، فقالوا: يا أبا القاسم إنّا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلّة من حلل الأواقي قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً جياداً وكتب لهم بذلك كتاباً وقال لأبي حارثة الأسقف: لكأنّي بك قد ذهبت إلى رحلك وأنت وسنان فجعلت مقدّمه مؤخّره فلمّا رجع قام يرحل راحلته فجعل رحله مقلوباً فقال: أشهد أنَّ محمّداً رسول الله.

فصل ثم بعث رسول الله ﷺ عليّاً إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام ـ وقيل: ليخمّس زكواتهم ويعلّمهم الأحكام ويبيّن لهم الحلال والحرام ـ وإلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم.

وروى أبو عبد الله الحافظ بإسناده رفعه إلى عمرو بن شاس الأسلمي قال: كنت مع عليّ بن أبي طالب في جملة وجفاني عليٌّ بعض الجفا فوجدت عليه في نفسي، فلمّا قدمت المدينة اشتكيته عند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد فنظر إليَّ حتى جلست إليه فقال: يا عمرو بن شاس لقد آذيتني، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله فقال: من آذى عليّاً فقد آذاني وقد كان بعث قبله رسول الله عليه الصلاة والسّلام خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه قال البراء: فكنت مع عليّ فلمّا دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلّى بنا عليٌّ ثمَّ صفّنا صفّاً واحداً ثمَّ تقدَّم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلّها فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ فلمّا قرأ الكتاب خرَّ ساجداً ثمَّ رفع رأسه فقال: على همدان السّلام ـ أخرجه البخاري في الصحيح ـ.

وروى الأعمش عن عمرو بن مرَّة، عن أبي البختري، عن عليّ عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن قلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شابٌ أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء قال: فضرب بيده في صدري وقال: اللّهمَّ اهد قلبه وثبّت لسانه فوالّذي نفسي بيده ما شككت في قضاء بين اثنين.

واقعة الغدير

فصل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة متوجّهاً إلى الحجّ في السنة العاشرة لخمس بقين من ذي القعدة وأذّن في النّاس الحجّ فتجهّز النّاس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها[1] ومن جوانبها خلق كثير فلمّا انتهى إلى ذي الحليفة ولدت هناك أسماء بنت عميس محمّد بن أبي بكر فأقام تلك اللّيلة من أجلها وأحرم من ذي الحُليفة وأحرم النّاس معه وكان قارناً للحجّ بسياق الهدي ساق معه ستّاً وستّين بدنة وحجّ علي من اليمن وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة وخرج بمن معه من العسكر الذي صحبه من اليمن ومعه الحلل الّتي أخذها من نجران، فلمّا قارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن فتقدَّم الجيش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسرَّ بذلك قول له: بما أهللت يا عليّ؟ فقال: يا رسول الله إنّك لم تكتب إليَّ بإهلالك فعقدت نيّتي بنيّتك وقلت: اللّهمّ إهلالاً كإهلال نبيّك فقال: فأنت شريكي في حجّي ومناسكي وهديي فأقم على إحرامك وعد على جيشك وعجّل بهم إليَّ حتّى نجمع بمكّة.

وقد روي أيضاً عن الصادق عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساق في حجّته مائة بدنة فنحر نيّفاً وستّين ثمَّ أعطى للّذي أستخلفه عليهم: ويحك إلى ما فعلت من غير إذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّهم سألوني أن أدفعها إليهم فيتجمّلوا بها ويحرموا

(١) ضاحية كل شيء ناحيته البارزة.

فيها، شكاية القوم عليّاً فنادى منادي رسول الله ﷺ ارفعوا ألسنتكم من شكاية عليّ فإنّه خشن في ذات الله ولّما قدم النبيّ مكّة وطاف وسعى نزل عليه جبرئيل عليه السلام ــ وهو على المروة ــ بهذه الآية ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه وقال: دخلت العمرة في الحجّ هكذا إلى يوم القيامة وشبّك بين أصابعه ثمَّ قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرته ما سقت الهدي، ثمَّ أمر مناديه فنادى: من لم يسق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عمرة ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه وقام إليه رجلٌ من بني عديّ وقال: يا رسول الله أنخرج إلى منى ورؤوسنا تقطر من النساء؟ فقال: إنّك لن تؤمن بها حتّى تموت فقام إليه سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: لا، بل لأبل الأبد، فأحلَّ النّاس أجمعون إلاّ من كان معه هدي وخطب رسول الله ﷺ النّاس يوم النّفر من منى فودّعهم ولّما قضى رسول الله ﷺ نسكه ونقل إلى المدينة وانتهى إلى الموضع المعروف بغدير خمّ وليس بموضع للنزول لعدم الماء والمرعى فنزل عليه جبرئيل وأمره أن يقيم عليّاً وينصبه إماماً للنّاس، فقال: إنَّ أُمّتي حديثو عهد بالجاهليّة فنزل عليه إنّها عزيمة لا رخصة فيها ونزلت الآية ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فنزل رسول الله بالمكان الّذي ذكرنا ونزل المسلمون حوله وكان يوماً شديد الحرّ فأمر رسول الله ﷺ بدوحات هناك فقمَّ ما تحتها وأمر بجمع الرّحال في ذلك المكان ووضع بعضها على بعض، ثمَّ أمر مناديه فنادى بالنّاس الصّلاة جامعة، فاجتمعوا إليه وإنَّ أكثرهم ليلفّ ردائه على قدميه من شدَّة الرَّمضاء فصعد ﷺ على تلك الرّحال حتّى صار في ذروتها ودعا عليّاً عليه السلام فرقي معه حتّى قام عن يمينه، ثمَّ خطب النّاس فحمد الله وأثنى عليه ووعظ ونعى إلى الأمّة نفسه فقال: إنّي دعيت ويوشك أن

أُجيب وقد حان مني خفوقٌ[1] من بين أظهركم وإنّي مخلّفٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمَّ نادى بأعلى صوته: ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟ فقالوا: اللّهمّ بلى، فقال لهم على النسق وقد أخذ بضبعي[2] عليّ فرفعهما حتى رُئي بياض إبطيهما وقال: فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ثمَّ نزل وكان وقت الظهيرة ثمَّ صلّى ركعتين ثمَّ زالت الشمس فأذّن مؤذّنه لصلاة الظّهر فصلّى بالناس وجلس في خيمته وأمر عليّاً أن يجلس بخيمة له بإزائه، ثمَّ أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً يهنّوه بالإمامة ويسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك اليوم كلّهم ثمَّ أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين معه أن يدخلن ويسلّمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن ذلك، وكان ممّن أطنب في تهنئته بذلك المقام عمر بن الخطّاب وقال فيما قال: بخ بخ لك يا عليُّ أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة وأنشأ حسّان يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ وأسمع بالرَّسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التّعاديا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا عليُّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللّهمَّ وال وليّه ... وكن للّذي عادا عليّاً معاديا

فقال له رسول الله ﷺ: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ولم يبرح رسول الله ﷺ من ذلك المكان حتّى نزل ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ

(١) خفق النجم خفوقاً: غاب. يريد ﷺ الإنذار بموته.

(٢) الضبع: العضد.

دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ فقال: الحمد لله على كمال الدّين وتمام النعمة ورضى الرَّب برسالتي والولاية لعليّ عليه السلام من بعدي.

ولّما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة من حجّة الوداع عقد لأُسامة بن زيد الإمرة وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه وقال له: أوطئ الخيل أو اخر الشام من أوائل الرُّوم وجعل في جيشه أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعسكر أُسامة بالجرف، فاشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكواه الّتي توفّي فيها وكان يقول في مرضه: نفّذوا جيش أُسامة ويكرّر ذلك وإنّما فعل ذلك لئلاّ يبقى في المدينة عند في مرضه: نفّذوا جيش أُسامة ويكرّر ذلك وإنّما فعل ذلك لئلاّ يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الإمامة ويطمع في الإمارة ويستوسق الأمر لأهله.

مرضه ووفاته صلى الله عليه وآله وسلم

فصل قال: ولّما أحسَّ النبيُّ بالمرض الذي اعتراه وذلك يوم السبت أو يوم الأحد لليال بقين من صفر أخذ بيد عليّ وتبعه جماعة من أصحابه وتوجّه إلى البقيع ثمَّ قال: السّلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه النّاس أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم يتبع آخرها أوَّلها ثمَّ قال: إنَّ جبرئيل كان يعرض عليَّ القرآن كلَّ سنة مرَّة وقد عرضه عليَّ العام مرّتين ولا أراه إلاّ لحضور أجلي، ثمَّ قال: يا عليُّ إنّي خيّرت بين خزائن الدُّنيا والخلود فيها أو الجنّة فاخترت لقاء ربّي والجنّة، فإذا أنا متُّ فغسّلني واستر عورتي فإنّه لا يراها أحدٌ إلاّ كمه، ثمّ عاد إلى منزله فمكث ثلاثة أيّام موعوكاً، ثمَّ خرج إلى المسجد يوم الأربعاء معصوب الرّأس متّكئاً على عليّ بيمنى يديه وعلى الفضل بن عبّاس باليد الأخرى، فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أمّا بعد أيّها النّاس إنّه قد حان منّي

خفوق من بين أظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أُعطه إيّاها ومن كان لـه عندي دين فليخبرني به فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله لي عندك عدة إنّي تزوّجت فوعدتني بثلاثة أواق، فقال: انحلها إيّاه يا فضل.

فلبث الأربعاء والخميس ولّما كان يوم الجمعة جلس على المنبر فخطب ثمَّ قال: أيّها الناس إنّه ليس بين الله وبين أحد شيءٌ يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شرّاً إلاّ العمل الصالح أيّها الناس لا يدَّع مدَّع ولا يتمنّ والذي بعثني بالحقّ لا ينجي إلاّ العمل مع رحمة الله ولو عصيت لهويت، اللّهمَّ بلّغت ــ ثلاثاً ــ ثمَّ نزل فصلّى بالنّاس ثمَّ دخل بيته وكان إذ ذاك في بيت أُمّ سلمة فأقام بها يوماً أو يومين فجاءت عائشة فسألته أن ينقل إلى بيتها لتتولّى تعليله فأذن لها فا نتقل إلى البيت الّذي أسكنته عائشة واستمرَّ المرض به فيه أيّاماً وثقل فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله مغمور بالمرض فنادى الصلاة رحمكم الله، فقال: يصلّي بالناس بعضهم فقالت عائشة: مروا أبا بكر ليصلّي بالنّاس وقالت حفصة: مروا عمر، فقال ﷺ: أُكففن فإنكنَّ صويحبات يوسف ثمَّ قام وهو لا يستقلّ على الأرض من الضعف وقد كان عنده أنّهما خرجا إلى أُسامة فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب والفضل بن عبّاس فاعتمدهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضّعف فلمّا خرج المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأومأ إليه بيده فتأخّر أبو بكر وقام رسول الله ﷺ وكبّر وابتدأ بالصلاة فلمّا سلّم وانصرف إلى منزله استدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر المسجد ثمَّ قال: ألم آمركم ان تنفذوا جيش أُسامة فقال أبو بكر: إنّي كنت خرجت ثمَّ عدت لأحدث بك عهداً وقال عمر: إنّي لم أخرج لأنّني لم أُحب أن أسأل عنك الرَّكب، فقال: نفّذوا جيش أُسامة ــ يكرّرها ثلاث مرّات ــ ثمّ أُغمي عليه من التّعب الذي لحقه فمكث هنيئة وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ومن حضره فأفاق، قال: ائتوني بدواة وكتف

أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، ثمَّ أُغمي عليه فقام بعض من حضر من أصحابه ليلتمس دواة وكتفاً فقال له عمر: ارجع فإنّه يهجر فلمّا أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك يا رسول الله بكتف ودواة فقال: أبعد الّذي قلتم، لا. ولكن احفظوني في أهل بيتي واستوصوا بأهل الذمّة خيراً وأطعموا المساكين والصلاة وما ملكت أيمانكم فلم يزل يردّد ذلك حتّى أعرض عن القوم بوجهه فنهضوا وبقي عنده العبّاس والفضل وعليٌّ عليه السلام وأهل بيته خاصّة، فقال العبّاس: يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقرّاً من بعدك فبشّرنا وإن كنت تعلم أنّا نغلب عليه فأرص بنا، فقال: أنتم المستضعفون من بعدي وصمت، ونهض القوم وهم يبكون فلمّا خرجوا من عنده قال: ردّوا عليَّ أخي عليّ بن أبي طالب وعمّي، فحضرا فلمّا استقرّ بهما المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبّاس يا عمَّ رسول الله تقبل وصيّتي وتنجز عدتي وتقضي ديني؟ فقال العبّاس يا رسول الله عمّك شيخ كبير ذو عيال كثير وأنت تباري الرّيح[1] سخاء وكرماً وعليك وعدٌ لا ينهض به عمّك، فأقبل على عليّ فقال: يا أخي تقبل وصيّتي وتنجز عدتي وتقضي ديني؟ فقال: نعم يا رسول الله صلّى الله عليك وآلك، فقال: أُدن منّي فدنا منه فضمّه ونزع خاتمه من يده فقال له: خذه فضعه في يدك، ودعا بسيفه ودرعه، ويروى أنَّ جبرئيل نزل بها من السّماء فجيء بها إليه فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: أقبض هذا في حياتي ودفع إليه بغلته وسرجها وقال: امض على اسم الله إلى منزلك فلمّا كان من الغد حجب النّاس عنه وثقل في مرضه صلى الله عليه وآله وكان عليٌّ لا يفارقه إلاّ لضرورة، فقام في بعض شؤونه فأفاق إفاقة فافتقد عليّاً فقال: ادعوا لي أخي وصاحبي وعاوده الضعف، فقالت عائشة: أُدعوا أبا بكر فدعي فدخل فلمّا نظر إليه أعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر فقال: أُدعوا لي أخي وصاحبي فقالت

---

(١) باراه: عارضه.

حفصة: أُدعوا له عمر فدعي فلمّا حضر رآه النبيُّ فأعرض عنه بوجهه فانصرف ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي وصاحبي فقالت أمُّ سلمة: ادعوا له عليّاً فإنّه لا يريد غيره فدعي أمير المؤمنين فلمّا دنا منه أوى إليه فأكبَّ عليه فناجاه رسول الله ﷺ طويلاً ثمَّ قام فجلس ناحية حتّى أغفى[1] رسول الله ﷺ ثم خرج فقال له النّاس: يا أبا الحسن ما الّذي أو عز إليك؟[2] فقال: علّمني رسول الله ألف باب من العلم فتح لي كلُّ باب ألف باب وأوصاني بما أنا قائمٌ به إن شاء الله، ثمَّ ثقل رسول الله ﷺ وحضره الموت فلمّا قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا عليُّ في حجرك فقد جاء أمر الله عزَّ وجلَّ، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثمَّ وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري وصلّ عليَّ أوَّل النّاس ولا تفارقني حتّى تواريني في رمسي واستعن بالله عزَّ وجلَّ وأخذ عليٌّ رأسه فوضعه في حجرة فأُغمي عليه وأكبّت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل[3]: يا بنيّة هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنوّ منه فدنت إليه فأسرَّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها، ثمَّ قضى ويد أمير المؤمنين اليمنى بالدنوّ منه فدنت إليه فأسرَّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها، ثمَّ قضى ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيما فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه وغمّضه ومدَّ عليه إزاره واشتغل بالنّظر إلى أمره فسئلت ما الذي قال إليك رسول الله ﷺ

---

(١) أي نام نومة خفيفة.

(٢) أو عزت إليه في كذا أي تقدمت. (الصحاح)

(٣) الضئيل: الصغير والنحيف والدقيق.

فسرى عنك؟[1] قالت: أخبرني أنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به وأنّه لن تطول المدّة بي بعده حتّى أُدركه فسرى ذلك عنّي.

وروي عن أُمّ سلمة قالت: وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات فمرَّ بي جمع آكل وأتوضأ ما تذهب رائحة المسك عن يدي.

وروى ثابت عن أنس قال: قالت فاطمة عليها السلام: لمّا ثقل النبيُّ وجعل يتغشّاه الكرب نادت يا أبتاه إلى جبرئيل ينعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه.

قال الباقر عليه السلام: لمّا حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة نزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله أتريد الرُّجوع إلى الدُّنيا؟ قال: لا، الرَّفيق الأعلى.

قال الصّادق عليه السلام: قال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد هذا آخر نزولي إلى الدنيا إنّما كنت أنت حاجتي منها قال: وصاحت فاطمة وصاح المسلمون وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم ومات لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته وروي أيضاً لاثنتي عشرة من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين.

ولّما أراد عليٌّ غسله استدعى الفضل بن عبّاس فأمره أن يناوله الماء بعد أن عصب عينيه فشقَّ قميصه من قبل جيبه حتّى بلغ به إلى سرّته وتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يناوله الماء فلمّا فرغ من غسله وتجهيزه تقدَّم فصلّى عليه.

قال أبان: وحدّثني أبو مريم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النّاس كيف الصّلاة عليه؟ فقال عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامنا حيّاً وميّتاً فدخل عليه عشرة عشرة فصلّوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلثاء حتّى الصباح ويوم الثلثاء حتّى صلّى عليه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وضواحي المدينة بغير إمام.

---

(١) انسرى عنه الهم: انكشف وسرى عنه مثله. (الصحاح)

دفنه صلى الله عليه وآله وسلم

وخاض المسلمون في موضع دفنه فقال عليٌّ عليه السلام: إنَّ الله لم يقبض نبيّاً في مكان إلاّ وارتضاه لرمسه فيه وإنّي دافنه في حجرته الّتي قبض فيها فرضي المسلمون بذلك.

فلمّا صلّى المسلمون عليه أنفذ العبّاس رجلاً إلى أبي عبيدة الجرّاح وكان يحفر لأهل مكّة ويضرّح[1].

وأنفذ إلى زيد بن سهل أبي طلحة فقيل: احفر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحفر له لحداً ودخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والعبّاس والفضل وأُسامة بن زيد ليتولّوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادت الأنصار من وراء البيت يا عليّ إنّا نذكّر الله وحقّنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب أدخل منّا رجلاً يكون لنا حظٌّ من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ليدخل أوس بن خولي رجل من بني عوف بن الخزرج وكان بدريّاً فدخل البيت وقال له عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه: انزل القبر فنزل ووضع عليٌّ عليه السلام رسول الله علي يديه ثمّ دلاه في حفرته ثمّ قال له: اخرج فخرج ونزل عليٌّ عليه السلام فكشف عن وجهه ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه ثمّ وضع عليه اللّبن وأهل عليه التّراب وانتهزت الجماعة الفرصة لاشتغال بني هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلوس عليّ صلوات الله وسلامه عليه للمصيبة فتنازعوا إلى تقرير ولاية الأمر واتّفق لأبي بكر ما اتّفق لاختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهة القوم تأخير الأمر إلى أن يفرغ بنو هاشم من مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيستقرّ الأمر مقرّه فبايعوا أبا بكر لحضوره، وليس هذا الكتاب بموضع لشرح ذلك وتجده في مواضعه إن شئت.

(١) الضريح: الشق في وسط القبر واللحد في الجانب. (الصحاح).

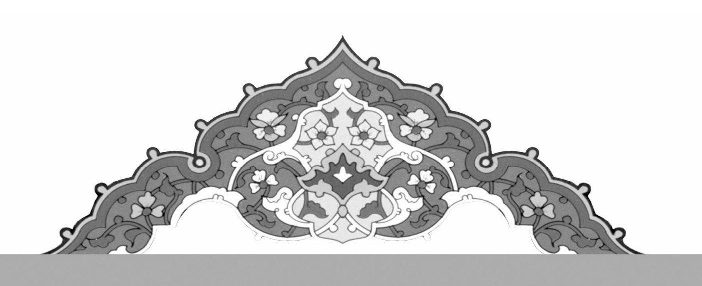
وروي أنَّ أبا سفيان جاء إلى باب رسول الله فقال:

بني هاشم لا يطمع النّاس فيكم ولاسيّما تيم بن مرّة أو عديّ

فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم وليس لها إلاّ أبا حسن عليّ

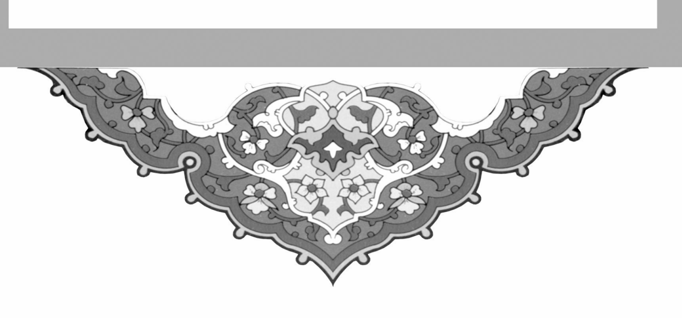
أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم فإنّك بالأمر الذي يرتجى ملي

ثمّ نادى بأعلى صوته يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرَّذل بن الرّذل، أما والله لان شئتم لأملأنّها عليكم خيلاً ورجلاً، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كلّ امرئ ما اكتسب وهو وليّ ما احتقب، قال: وبعثوا إلى عكرمة بن أبي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم فأحضروهم وعقدوا لهم الرّايات على نواحي اليمن والشام ووجّهوهم من ليلتهم وبعثوا إلى أبي سفيان فأرضوه بتولية يزيد بن أبي سفيان، قال: ولّما بايع النّاس أبا بكر قيل له: لو جئت جيش أُسامة واستعنت بهم على من يأتيك من العرب؟ وكان في الجيش عامّة المهاجرين، فقال أُسامة لأبي بكر: ما تقول في نفسك أنت؟ قال: قد ترى ما صنع النّاس فأنا أحبُّ أن تأذن لي ولعمر قال: فقد أذنتكما قال: وخرج أُسامة بذلك الجيش حتّى إذا انتهى إلى الشام عزله واستعمل مكانه يزيد بن أبي سفيان فما كان بين خروج أُسامة ورجوعه إلى المدينة إلاّ نحو من أربعين يوماً فلمّا قدم المدينة قام على باب المسجد ثمّ صاح يا معشر المسلمين عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتأمّر عليّ وعزلني.



الباب الخامس

فـي ذكـر أزواج رسـول الله ﷺ وأولاده وأعمامه وعمّاته وقراباتـه ومواليـه ومولياتـه وجواريـه



في ذكر أزواج رسول الله وأولاده صلوات الله عليه وآله

أوّل امرأة تزوَّجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، تزوّجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ المخزوميّ فولدت له جارية ثمّ تزوَّجها أبو هالة الأسدي فولدت له هند بن أبي هالة، ثمَّ تزوَّجها رسول الله ﷺ وربّى ابنها هنداً ولمّا استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشدَّه وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق خباشة فلمّا رجع تزوَّج خديجة زوّجها إيّاه أبوها خويلد بن أسد وقيل: زوّجها عمّها عمرو بن أسد وخطب أبو طالب عليه السلام في نكاحها ومن شاهد من قريش حضور فقال: الحمد لله الّذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوباً وأنزلنا حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شيء وجعلنا الحكّام على النّاس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثمَّ إنَّ ابن أخي محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به ولا يقاس بأحد منهم إلاّ عظم عنه ولا عِدل له في الخلق وإن كان ماله قليلاً فإنَّ المال رزق حائل وظلٌ زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة والصداق ما سألتم عاجله وآجله من مالي. وكان أبو طالب له خطر عظيم وشأن رفيع ولسان شافع جسيم فزوّجه ودخلها من الغد ولم يتزوَّج عليها رسول الله ﷺ حتّى ماتت وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة وشهراً ومهرها اثنتا عشرة أوقيّة ونشّ وكذلك مهر سائر نسائه، فأوّل ما حملت ولدت عبد الله بن محمّد وهو الطيّب الطّاهر وولدت له القاسم وقيل: إنّ القاسم أكبر وهو بكره وبه كان يكنّى والنّاس

يغلطون فيقولون: ولد له منها أربع بنين القاسم وعبد الله والطيّب والطّاهر وإنّما ولد له منها ابنان وأربع بنات زينب ورقيّة وأُمّ كلثوم وفاطمة.

فأمّا زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوَّجها أبو العاص بن ربيع[1] بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف في الجاهليّة فولدت لأبي العاص جارية اسمها

---

(١) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن أخت خديجة زوجة رسول الله ﷺ أمه هالة بنت خويلد، كان اسم أبي العاص لقيط أو مهشم وهو من رجال مكة المعدودين مالاً وتجارة وأمانة، زوجه رسول الله ﷺ زينب أكبر بناته، فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت خديجة وبناته فصدقن وشهدن الإسلام وثبت أبو العاص على شركه وتحرضه قريش أن يفارق صاحبته على أن تزوجه أية امرأة شاء فلم يرض. وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره وكان الإسلام قد فرق بينهما إلا أنه ﷺ والخبر في حسن مصاهرته في أيام الشعب مشهور. فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أسرائهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه: إن رأيتم أن تطلقوا لاه أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا؟ قالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها مالها وكان رسول الله ﷺ في الطريق بعد أن أصابت من المشركين في الطريق أذى كثيراً ونالت منهم ما نالت وجاءت زينب إلى المدينة وأقامت عند رسول الله ﷺ فأقام أبو العاص بمكة حتى إذا كان قبيل الفتح في سنة ثماني من الهجرة خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام وكان رجلاً مأموناً بمال له وأموال لرجال من قريش يضعونها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل غافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله جاء أبو العاص في طلب ماله تحت الليل حتى أتى المدينة ودخل على زينب بنت رسول الله فاستجار بها فأجارته فلما أصبح أتت زينب إلى المسجد فاستجارت له من المسلمين فأجاروه فدخل رسول الله على بنته فقال: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فردوه عليه بأسره ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله فأسلم ورجع إلى المدينة ورد رسول الله زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئاً بعد سنين توفي أبو العاص سنة اثني عشر وتزوج علي عليه السلام ابنته أمامة بنت زينب بعد وفاة فاطمة عليها السلام بوصية منها.

أمامة تزوَّجها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام وقتل عليّ وعنده أمامة فخلف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب وتوفّيت عنده، وأُمُّ أبي العاص هالة بنت خويلد فخديجة خالته، وماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة وأمّا رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتزوَّجها عتبة بن أبي لهب فطلّقها قبل أن يدخل بها ولحقها منه أذى فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : اللّهمّ سلّط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الأسد من بين أصحابه، وتزوّجها بعده بالمدينة عثمان بن عفّان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات بالمدينة زمن بدر وتخلّف عثمان على دفنها ومنعه ذلك أن يشهد بدراً وقد كان عثمان هاجر إلى الحبشة ومعه رقيّة وأمّا أمّ كلثوم فتزوَّجها أيضاً عثمان بعد أُختها رقيّة توفّيت عنده وأمّا فاطمة عليها السلام فنفرد لها باباً إن شاء الله ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد من غير خديجة إلاّ إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مارية القبطيّة ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وستّة أشهر وبعض أيّام وقبره بالبقيع.

والثانية: سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو فمات عنها بالحبشة مسلماً.

والثالثة: عائشة بنت أبي بكر تزوَّجها بمكّة وهي بنت سبع ولم يتزوّج بكراً غيرها ودخل بها وهي بنت تسع لسبعة أشهر من مقدمه المدينة وبقيت إلى خلافة معاوية.

والرّابعة: أُمُّ شريك الّتي وهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واسمها غزية بنت دودان بن عوف بن عامر وكانت قبله عند أبي العكر بن سميّ الأزدي فولدت له شريكاً.

والخامسة: حفصة بنت عمر بن الخطّاب تزوّجها بعدما مات زوجها خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وجّهه إلى كسرى فمات ولا عقب له وماتت بالمدينة في خلافة عثمان.

والسادسة: أمّ حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي فهاجر بها إلى الحبشة وتنصّر بها ومات هناك فتزوَّجها رسول اللهﷺ بعده وكان وكيله عمرو بن أُميّة الضمريّ.

والسابعة: أمُّ سلمة وهي بنت عمّته عاتكة بنت عبد المطّلب وقيل: هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بني فراس بن غنم واسمها هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهي ابنة عمّ أبي جهل، وروي أنَّ رسول الله ﷺ أرسل إلى أُمّ سلمة أن مري ابنك أن يزوّجك فزوّجها ابنها سلمة بن أبي سلمة من رسول الله ﷺ وهو غلام لم يبلغ وأدَّى عنه النجاشي صداقها بأربعمائة دينار عند العقد وكانت أُمُّ سلمة من آخر أزواج النبيّ ﷺ وماتت بعده وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد وأُمّه برَّة بنت عبد المطّلب فهو ابن عمّة رسول الله ﷺ وكان لأُمّ سلمة منه زينب وعمرو، وكان عمرو مع عليّ عليه السلام يوم الجمل وولاّه البحرين وله عقب بالمدينة ومن مواليها شيبة بن مصاح إمام أهل المدينة في القراءة، وخيرة أُمُّ الحسن البصري.

والثامنة: زينب بنت الجحش الأسديّة وهي ابنة عمّته ميمونة بنت عبد المطّلب وهي أوَّل من مات من أزواجه بعده توفّيت في خلافة عمر وكانت قبله عند زيد بن حارثة فطلّقها زيد، وذكر الله تعالى شأنه وشأن زوجه زينب في القرآن وهي أوَّل امرأة جعل لها النعش جعلته لها أسماء بنت عميس يوم توفّيت، وكانت بأرض الحبشة رأهم يصنعون ذلك.

والتاسعة: زينب بنت خزيمة الهلاليّة من ولد عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث وماتت قبله ﷺ، وكان يقال لها أُمُّ المساكين.

والعاشرة: ميمونة بنت الحارث من ولد عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة تزوَّجها وهو بالمدينة وكان وكيله أبا رافع وبنى لها بسرف[1] حين رجع من عمرته على عشرة أميال من مكّة وتوفّيت أيضاً بسرف ودفنت هناك أيضاً وكانت قبله عند أبي سبرة بن أبي رهم[2] العامريّ.

والحادية عشرة: جويرية بنت الحارث من بني المصطلق سباها فأعتقها وتزوَّجها وتوفّيت سنة ستّ وخمسين.

والثانية عشرة: صفيّة بنت حييّ بن أخطب النضريّ من خيبر اصطفاها لنفسه من الغنيمة ثمّ أعتقها وتزوَّجها وجعل عتقها صداقها وتوفّيت سنة ستّ وثلاثين فهذه اثنتا عشرة امرأة دخل بهنّ رسول الله وقد تزوّج إحدى عشرة منهنّ وواحدة وهبت نفسها منه. وقد تزوّج عالية بنت ظبيان وطلّقها حين أُدخلت عليه.

وتزوَّج قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس فمات قبل أن يدخل بها فتزوَّجها عكرمة بعده وقيل: إنّه طلّقها قبل أن يدخل بها ثمَّ مات.

وتزوّج فاطمة بنت الضحّاك بعد وفاة ابنته وخيّرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدُّنيا وفارقها فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول: أنا الشقيّة اخترت الدُّنيا. وتزوّج سنى[3] بنت الصلت فماتت قبل أن تدخل عليه.

وتزوَّج أسماء بنت النعمان بن شراحيل فلمّا أُدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك فقال: قد أعذتك الحقي بأهلك، وكان بعض أزواجه علّمتها ذلك فطلّقها ولم يدخل بها.

---

(١) سرف ـ ككتف ـ موضع على ستة أميال من مكة من طريق مرو. وقيل: سبعة وتسعة واثنا عشر. (المراصد)

(٢) في الإصابة «سخبرة بن أبي رهم».

(٣) بالفتح والقصر. (القاموس)

وتزوَّج مليكة اللّيثيّة فلمّا دخل عليها قال لها: هبي لي نفسك، فقالت: هل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده ليضعها عليها فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: لقد عذت بمعاذ فسرَّحها ومتّعها.

وتزوَّج عمرة بنت يزيد فرأى بها بياضاً فقال: دلّستم عليَّ وردَّها.

وتزوَّج ليلى بنت الخطيم الأنصاريّة فقالت: أقلني فأقالها.

وخطب امرأة من بني مرَّة فقال أبوها: إنَّ بها برصاً ولم يكن فرجع فإذا هي برصاء.

وخطب امرأة فوصفها أبوها، ثمَّ قال: وأزيدك أنّها لم تمرض قطُّ فقالﷺ: ما لهذه عند الله من خير وقيل: إنّه تزوَّجها فلمّا قال ذلك أبوها طلّقها فهذه إحدى وعشرون امرأة ومات رسول الله ﷺ عن عشر واحدة منهنَّ لم يدخل بها وقيل عن تسع: عائشة، وحفصة، وأُمّ سلمة، وأُمّ حبيبة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وصفيّة، وجويرية، وسودة وكانت سودة قد وهبت ليلتها لعائشة حين أراد طلاقها وقالت: لا رغبة لي في الرّجال وإنّما أُريد أن أُحشر في أزواجك.

في ذكر أعمامه وعماته صلوات الله عليه

وكان لرسول الله ﷺ تسعة أعمام هم بنو عبد المطّلب: الحارث، والزّبير، وأبو طالب، وحمزة، والغيداق، وضرار، والمقموَّم، وأبو لهب واسمه عبد العزَّى والعبّاس[1] ولم يعقب منهم إلاّ أربعة الحارث وأبو طالب والعبّاس وأبو لهب.

فأمّا الحارث فهو أكبر ولد عبد المطّلب وبه كان يكنّى وشهد معه حفر زمزم وولده أبو سفيان والمغيرة ونوفل وربيعة وعبد شمس.

---

(١) ذكروا له ﷺ أحد عشر عمّاً: التسعة وحجل بن عبد المطلب وقد يسمى مغيرة وقثم بن عبد المطلب وتوفي صغيراً (راجع نسب قريش).

أمّا أبو سفيان فأسلم عام الفتح ومل يعقب وأمّا نوفل فكان أسنَّ من حمزة والعبّاس وأسلم أيّام الخندق وله عقب وأمّا عبد شمس فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله وعقبه بالشّام وأمّا أبو طالب عمُّ النبيّ فكان مع أخيه عبد الله ابني أُمّ وأُمّهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم واسمه عبد مناف وله أربعة أولاد ذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعليٌّ، ومن الإناث أمُّ هاني واسمها فاختة وجمانة أمّهم جميعاً فاطمة بنت أسد وكان عقيل أسنَّ من جعفر بعشر سنين وأعقبوا إلاّ طالباً وتوفّي قبل أن يهاجر النبيُّ بثلاث سنين ولم يزل رسول الله ممنوعاً من الأذى بمكّة موقّى حتّى توفّي أبو طالب عليه السلام فنبت به مكّة ولم يستقرَّ له بها دعوة حتّى جاءه جبرئيل فقال:

إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: أُخرج من مكّة فقد مات ناصرك، ولّما قبض أبو طالب أتى عليٌّ رسول الله ﷺ فأعلمه بموته، فقال له امض يا علي فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه فإذا رفعته على سريره فأعلمني ففعل ذلك فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيّ وقال:

وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عمّ، فلقد ربيّت وكفلت صغيراً ووازرت ونصرت كبيراً، ثمَّ أقبل على الناس وقال: أما والله لأشفعنَّ لعلمّي شفاعة يعجب لها أهل الثقلين.

وأمّا العبّاس فكان يكنّى أبا الفضل وكانت له السقاية وزمزم وأسلم يوم بدر واستقبل النبي عام الفتح بالأبواء وكان معه حين فتح وبه ختمت الهجرة ومات بالمدينة في أيّام عثمان وقد كفّ بصره وكان له من الولدد تسعة ذكور وثلاث إناث: عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم ومعبد وعبد الرّحمن وأُمُّ حبيب أُمّهم لبابة بنت الفضل بن الحارث الهلاليّة أُخت ميمونة بنت الحارث زوجة النبيّ ﷺ، وتمام، وكثير، والحارث، وآمنة، وصفيّة لأمّهات أولاد شتّى.

وأمّا أبو لهب فولده عتيبة وعتبة وعقبة ومعتّب وأُمّهم أمُّ جميل بنت حرب أخت أبي سفيان حمّالة الحطب.

وكانت عمّاته ستّاً من أُمّهات شتّى وهنَّ أُميمة، وأمّ حكيم، وبرَّة، وعاتكة، وصفيّة، وأروى.

وكانت أميمة عند جحش بن رئاب الأسديّ، وكانت أُمّ حكيم وهي البيضاء عند كرير بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وكانت برَّة عند عبد الأسد بن هلال المخزوميّ فولدت له أبا سلمة الذي كان تزوَّج أُمّ سلمة وكانت عاتكة عند أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ وكانت صفيّة عند الحارث بن حرب بن أُميّة[1].

ثمَّ خلف عليها العوَّام بن خويلد فولدت له الزُّبير وكانت أروى عند عمير بن عبد العزّى بن قصيّ لم يسلم منهنَّ غير صفيّة وقيل: أسلم منهنّ ثلاث صفيّة وأروى وعاتكة.

في ذكر قراباته من جهة أمه من الرضاعة ﷺ

ولم يكن لرسول الله ﷺ قرابة من جهة أُمّه إلاّ من الرّضاعة فإنَّ أمّه آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أُخت فيكون خالاً له أو خالة إلاّ أنَّ بني زهرة يقولون: نحن أخواله لأنَّ آمنة منهم ولم يكن لأبويه عبد الله وآمنة ولد غيره فيكون له أخ أو أُخت من النّسب وكان له خالة من الرّضاعة يقال لها: سلمى وهي أُخت حليمة بنت أبي ذؤيب، له أخوان من الرّضاعة: عبد الله بن الحارث وأنيسة بن الحارث، أبوهما الحارث بن عبد العزّى بن سعد بن بكر بن هوازن فهما أخواه من الرِّضاعة.

(١) في نسب قريش «عند العوّام بن خويلد».

في ذكر مواليه ومولياته وجواريه

أمّا مواليه فزيد بن حارثة وكان لخديجة اشتراه لها حكيم بن حزام بسوق عكاظ بأربعمائة درهم فوهبته لرسول الله ﷺ بعد أن تزوَّجها فأعتقه فزوَّجه أُمُّ أيمن فولدت له أُسامة وتبنّاه [1] رسول الله ﷺ فكان يدعى زيد بن رسول الله حتّى أنزل الله تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ ﴾.

وأبو رافع واسمه أسلم وكان للعبّاس فوهبه له فلمّا أسلم العبّاس بشّر أبو رافع النبيّ ﷺ بإسلامه فأعتقه، وزوَّجه سلمى مولاته فولدت له عبيد الله بن أبي رافع،فلم يزل كاتباً لعليّ عليه السلام أيّام خلافته.

وسفينة واسمه رباح اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه.

ونوبان يكنّى أبا عبد الله من حمير أصابه سبي فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه.

ويسار وكان عبداً نوبيّاً أعتقه رسول الله ﷺ فقتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ.

وشقران واسمه صالح.

وأبو كبشة واسمه سليمان.

وأبو ضميرة أعتقه ﷺ وكتب له كتاباً فهو في يد ولده.

ومدعم أصابه سهم في وادي القرى فمات.

وأبو مويهبة، وأنسة، وفضالة، وطهمان، وأبو أيمن، وأبو هند، وأنجشة وهو الذي قال فيه: رويدك يا أنجشة رفقاً بالقوارير[2] وصالح، وأبو سلمى،

---

(١) تبناه أي اتخذه ابناً له.

(٢) قال الجزري: «في حديث أنجشة» رويدك رفقاً بالقوارير. أي أمهل وتأن وهو تصغير رود ←

وأبو عسيب وعبيد وأفلح ورويفع وأبو لقيط وأبو رافع الأصغر ويسار الأكبر وكركرة أهداه هودة بن عليّ الحنفيّ إلى النبيّ فأعتقه، ورباح وأبو لبابة وأبو اليسر وله عقب.

وأما مولياته فإنَّ المقوقس صاحب الإسكندريّة، أهدى إليه جاريتين إحداهما مارية القبطيّة ولدت له إبراهيم وماتت بعده بخمس سنين سنة ستّ عشرة ووهب الأُخرى لحسّان بن ثابت.

وأُمُّ أيمن خاصّة النبيّ وكانت سوداء ورثها عن أُمّه،وكان اسمها بركة فأعتقها وزوَّجها عبيد الخزرجيّ بمكّة فولدت له أيمن فمات زوجها، فزوَّجها النبيّ من زيد فولدت له أُسامة، أسود يشبهها فأُسامة وأيمن أخوان لأمّ.

وريحانة بنت شمعون غنمها من بني قريظة.

وأمّا خدمه من الأحرار فأنس بن مالك وهند وأسماء ابنتا خارجة الأسلميّتان.

يقال: أرود به إرواداً أي رفق ويقال: رويد زيد ورويدك زيداً فيه، مصدر مضاف وقد تكون صفة نحو ساروا سيراً رويداً وحالاً نحو ساروا رويداً وهي من أسماء الأفعال المتعدية. وقال المجلسي ـ ﵀ ـ: أراد بالقوارير النساء، شبههن بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليها الكسر وكان أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز فلم يؤمن أن يصيبهن أو يقع في قلبهن حداؤه فأمره ﷺ بالكف عن ذلك وفي المثل الغناء رقية الزنا. وقيل: أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته: نهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة. انتهى.

المصادر

١ . الاختصاص للشيخ المفيد.

٢ . الاستيعاب لابن عبد البر.

٣ . البحار للمجلسي.

٤ . تاريخ الطبري.

٥ . تاريخ الخميس للديار بكري.

٦ . تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

٧ . التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى.

٨ . جمهرة اللغة لابن دريد.

٩ . خمسون ومائة صحابي مختلف، السيد مرتضى العسكري.

١٠ . دراسة مصادر السيرة النبوية.

١١ . سيرة المعصومين للطبرسي.

١٢ . الصحاح للجوهري.

١٣ . لسان العرب لابن منظور.

١٤ . مجمع البحرين للطريحي.

١٥ . معجم مقايس اللغة لابن فارس.

١٦ . مفردات غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني.

١٧ . المفصل في تاريخ العرب.

١٨ . النهاية في الحديث والأثر لابن الأثير.

١٩ . نسب قريش للزبيدي.

٢٠ . نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوري.

المحتويات

الباب الأول

نشأة علم السيرة

الباب الثاني

في ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومولده ومدة حياته ووقت وفاته

الباب الثالث

في ذكر آياته الباهرات ومعجزاته القاهرة للعادات

الباب الرابع

في ذكر مغازي رسول الله ﷺ بنفسه وسراياه ونبذ من أخباره إلى أن فارق دنياه وما ظهر في أثناء ذلك من أعلام نبوَّته ودلائل صدقه ورسالته على سبيل الإجمال والاختصار

الباب الخامس

في ذكر أزواج رسول الله ﷺ وأولاده وأعمامه وعمّاته وقراباته ومواليه ومولياته وجواريه